كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

القُيُودُ وَالمُتعلّقَات

فِي دِيوَانِ أَبِي مِحجَن الثَّقَفِيّ (رضي الله عنه)

دِرَاسَةٌ بَلاغيّةٌ تحلِيلِيّةٌ

إعداد

د/ محمد عبد الكريم محمد عاشور

مدرس البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الخامس)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

القُيُودُ وَالمُتعلّقَات فِي دِيوَانِ أَبِي مِحجَن الثَّقَفِيّ(ﷺ) دِرَاسَةٌ بَلاغيّةٌ تحَليليّةٌ

محمد عبد الكريم محمد عاشور

قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق . جامعة الأزهر

البريد الالكتروني MohammedAshour٣٦٢.el@azhar.edu.eg

الملخص :

تأتي هذه الدراسة تحت عنون : (القيود والمتعلقات في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ) دراسة بلاغية تحليلية) تبحث عن الأسرار البلاغية وراء قيود الفعل ومتعلقاته من الحال بأنواعه، والظرف والمفعول وجملة الشرط، في ديوان أبي محجن الثقفي، وهو صحابي جليل من صحابة النبي (ﷺ)، وشاعر من الشعراء المخضرمين، الذين أدركوا الجاهلية بتقاليدها، والإسلام بتعاليمه، فجاهدوا أنفسهم حتى نفوا عنها خبث الجاهلية، وأحلوا محلها طيب الإسلام، وهو شاعر مطبوع امتاز شعره بالرقة والسلاسة، والبعد عن التكلف والتصنع. وقد جاءت تلك الدراسة وفق المنهج التحليلي في ظل ارتباط تلك القيود والمتعلقات بسياقها العام والخاص، بعد استقرائها من الديوان واختيار النماذج التي تفي باستخلاص النتائج.

الكلمات المفتاحية : القيود ، المتعلقات ، ديوان ، أبو محجن.

Constraints and Relatives in the Diwan of Abu Mehjan al-Thaqafi An Analytical Rhetorical Study

Muhammad Abdul Karim Muhammad Ashour
Department of Rhetoric and Criticism , College of Islamic and Arabic Studies for Boys , Al-Azhar University , Desouq, Egypt
Email: MohammedAshour362.el@azhar.edu.eg

Abstract:

This study comes under the title: (Constraints and Relatives in the Diwan of Abu Mehjan al-Thaqafi An Analytical Rhetorical Study) that searches for the rhetorical secrets behind the limitations of the verb and its effects from all kinds of case, adverb, effect and the sentence of the condition, in the diwan of Abu Mehjan al-Thaqafi, who is a great companion of the Prophet's companions He was one of the veteran poets who recognized Jahiliyyah with its traditions, and Islam with its teachings, and strove themselves until they banished the malice of Jahiliyyah, and replaced it with the goodness of Islam, and he is a printed poet whose poetry was characterized by tenderness and smoothness, and a distance from pretense and artificiality. This study came in accordance with the analytical method in light of the link between these restrictions and related matters in their public and private context, after extrapolating them from the Bureau and selecting the models that satisfy the conclusion of conclusions.

Keywords : Constraints, Relatives, Diwan, Abo mehgan

المقدمة

الحمد لله على عظيم نعمه؛ حيث شرفنا بهذا الدين، وشرفنا بأن جعلنا من أصحاب هذا اللسان العربي الشريف، الذي صار وعاء لخطاب الله للخلق، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥، والصلاة والسلام على سيد الخلق وأفصحهم في البلاغ عن الحق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،،

فمن المعلوم أنه قد سبق فترة نزول الوحي إرهاصات تؤذن بتفوق تلك اللغة وسموّها في باب البيان عن حاجيات المتكلمين بها، حتى إنها لم تعد مجرد وسيلة للتخاطب، وإنما صارت ميدانا للتباهي والتفاخر والمفاضلة، وكان الشعر – ولا يزال – بإيقاعه المعروف ضربًا من سيماء تلك اللغة، عرف به أهلها، ولم يُهدَ أحد من الخلق لما هدي إليه العرب في باب الشعر، وقد بلغ فيهم من علو المنزلة الحد الذي جعلهم يقيمون المحافل إذا نبغ فيهم شاعر.

وسيظل الشعر عامة، والجاهلي منه خاصة موضع عناية الدارسين والمهتمين بتلك اللغة، وسيظل كذلك بابا من أبواب الوقوف على إعجاز القرآن الذي نزل بتلك اللغة، متحديا أصحاب هذا اللسان أن يأتوا بمثله أو شيء من مثله.

وإن كان الشعر الجاهلي الذي سبق نزول الوحي قد بلغ الغاية في الفصاحة والبيان البشري، وأنه كان ولا يزال موضع عناية الدارسين، فإن هناك شعراء عايشوا تلك الفترة، التي سبقت نزول الوحي، بعاداتها وقيمها، فلما جاء الإسلام كانوا من أتباعه وأنصاره، وقد عرف هؤلاء الشعراء لدى الدارسين بالشعراء المخضرمين، " ولا شك أن عصر هؤلاء المخضرمين يمثل عصر الصراع بين القيم الإنسانية الحقة الخالصة التي جاء بها الإسلام، وبين القيم التي كونتها الجاهلية والنظم الفاسدة

والأهواء الضالة ... وما يزال هذا العصر بوصفه هذا في حاجة شديدة إلى استجلاء غوامضه، وكشف مساتيره، واستيضاح معالمه"[١].

ومن هؤلاء الشعراء الذين عاصروا الجاهلية والإسلام الصحابي الجليل أبو محجن الثقفي، وهو من الشعراء المطبوعين الذين امتاز شعرهم باليسر والسهولة والبُعد عن التكلف والتصنع، وقد لقي ديوان هذا الشاعر –على قلة شعره – عناية كثير من الباحثين والدارسين.

فمن تلك الدراسات التي عنيت بالصحابي الجليل أبي محجن الثقفي وشعره: دراسة للدكتور محمود فاخوري تحت عنوان: (أبو محجن الثقفي حياته وشعره . دراسة وتحقيق)[٢] تعني بتحقيق الديوان، والتعريف بالشاعر، ومكانته بين الشعراء، وكيف استقى الشاعر شعره من مصادره المختلفة، ثم كانت دراسة أخرى للدكتور رفعت التهامي بعنوان: (شاعر الفارسية الفارس التائب أبو محجن الثقفي)[٣]، ألقت هذا الدراسة الضوء على موضوعات شعر الشاعر وأغراضه واتجاهاته، وما يمتاز به بناؤه الفني، كما تناوله الدكتور محمد مختار جمعة في بحثه (أبو محجن الثقفي حياته وشعره)[٤]، يضاف إلى ذلك دراسة الدكتور محمد سالمان لديوان أبي محجن الثقفي إلى جانب ديوان صفوان التجيبي، وديوان ابن مرج الكحل، ضمن سفره

(١) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: يحي الجبوري (مكتبة النهضة . بغداد. دون تاريخ) المقدمة (ج).

(٢) بحث منشور في كلية الآداب . جامعة حلب (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . الطبعة الثانية : ١٩٨٨م).

(٣) (مطبعة التركي . طنطا . مصر : الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م)

(٤) حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربين للبنين . جامعة الأزهر . القاهرة . العدد الخامس عشر . ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م)

الموسوم: (من ديوان الشعر العربي (١. ديوان أبي محجن الثقفي، ٢. ديوان صفوان التجيبي، ٣ ـ ديوان ابن مرج الكحل)[١] معرفا بالشاعر وديوانه، ومحققًا له، مضيفا إليه بعض المقطوعات التي لم ترد في التحقيقات السابقة.

أما عن الدراسات البلاغية فقد سبق إلى هذا الميدان الدكتور طلعت عبد الله أبو حلوه ببحثه: (من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (رضي الله عنه)[٢]

ولا يزال الديوان مليئًا بالظواهر البلاغية الجديرة بالبحث والدراسة ومن تلك الظواهر باب القيود والمتعلقات، فقد لاحظت كثرة تلك القيود والمتعلقات في ديوان الشاعر في المقامات والسياقات المختلفة مما يستوجب الكشف عن الأسرار البلاغية لتلك القيود وأثرها في السياق ودورها في طرائق الإبانة عن المعاني، فكان هذا البحث الذي عنوانه: (القيود والمتعلقات في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ) دراسة بلاغية تحليلية).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس.

أما المقدمة : فكانت مدخلاً للموضوع وبيانًا لأهميته ودوافع اختياره والدراسات السابقة التي تناولت الشاعر وشعره، كما بينت من خلالها خطة البحث والمنهج المتبع في الدراسة.

---

(١) (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة . ٢٠٠٧م)

(٢) (من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (رضي الله عنه). د/ طلعت عبد الله أبو حلوة. حولية كليات الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق ـ جامعة الأزهر. العدد الثامن والعشرون. المجلد الرابع. ٢٠١٢م

وأما التمهيد: فعرضت فيه تعريفًا مختصرًا بالشاعر، وقيمة القيد في الدرس البلاغي.

ثم جاء المبحث الأول تحت عنوان: بلاغة التقييد بالكلمة المفردة في ديوان ابي محجن الثقفي. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من بلاغة التقييد بالحال المفردة.

المطلب الثاني: من بلاغة التقييد بالظرف.

المطلب الثالث: من بلاغة التقييد بالمفعول.

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان : بلاغة التقييد بالجملة في ديوان أبي محجن الثقفي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من بلاغة التقييد بجملة الشرط.

المطلب الثاني: من بلاغة التقييد بجملة الحال.

ثم ذيلت دراسة بخاتمة ترصد أهم ما توصلت إليه من نتائج، يليها فهرس للمصادر والمراجع.

كما اقتضت طبيعة البحث ان يكون عماده على المنهج التحليلي للسياقات التي ورد فيها القيد أو المتعلق ودور ذلك القيد أو المتعلق في تحديد الدلالة، وذلك بعد استقراء النماذج التي وردت فيها تلك القيود والمتعلقات، وتخير نماذج بعينها يمكن من خلالها الوقوف على النتائج المرجوة من البحث.

وبعد، فاللهَ أسألُ أن يتقبل مني ما كتبت خالصًا لوجهه مبتغيًا به مرضاته، وأن يغفر لي ما وقع فيه من الزلل، فهو حسبي ونعم الوكيل.

التمهيد

أ ـ نبذة مختصرة في التعريف بالشاعر:

هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف الثقفي، وفي اسمه اختلاف كثير، فقيل اسمه مالك بن حبيب، وقيل عمرو بن حبيب، وقيل هو حبيب بن عمرو، وقيل: هو عروة بن حبيب، أمه كنود بنت عبد الله بن عبد شمس(١).

أسلم حين أسلمت ثقيف، وسمع من النَّبِيّ (ﷺ)، وروى عنه. حدث عنه أَبُو سعد البقال، قَالَ: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أخوف مَا أخاف عَلَى أمتي من بعدي ثلاثُ: إيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة. وَكَانَ أَبُو محجن هَذَا من الشجعان الأبطال فِي الجاهلية والإسلام، من أولي البأس والنجدة ومن الفرسان البهم، وَكَانَ شاعرًا مطبوعًا كريمًا، إلا أنه كَانَ منهمكًا فِي الشراب، لا يكاد يقلع عنه، ولا يردعه حد ولا لوم لائم، وَكَانَ أَبُو بَكْر الصديق يستعين به، وجلده عُمَر بْن الْخَطَّابِ فِي الخمر مرارًا، ونفاه إِلَى جزيرة فِي البحر، وبعث معه رَجُلاً، فهرب منه ولحق بسعد بْن أبي وقاص بالقادسية، وَهُوَ محارب للفرس، وَكَانَ قد هم بقتل

(١) ينظر: الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى (٣٥٦هـ) (إحياء التراث العربي ـ بيروت. الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ) .٩/١٩ . وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م)٤٠٥/٨. تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان. ترجمة: د/ عبد الحليم النجار. (دار المعارف. دون تاريخ).١٦٧/١. الإصابة في تمييز الصحابة : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. المتوفى (٨٥٢هـ). تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. (دار الكتب العلمية ـ بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ): ٢٩٨/٧.

الرجل الَّذِي بعثه معه عمر، فأحس الرجل بذلك، فخرج فارًا فلحق بعمر فأخبره خبره، فكتب عمر إِلَى سعد بْن أبي وقاص بحبس أبي محجن، فحبسه. فلما كَانَ يوم الناطف بالقادسية، والتحم القتال، سأل أَبُو محجن امرأة سعد أن تَحِلَّ قيده وتعطيه فرس سعد، وعاهدها أنه إن سلم عاد إِلَى حاله من القيد والسجن، وإن استشهد فلا تبعة عَلَيْهِ، فخلت سبيله، وأعطته الفرس، فقاتل أيام القادسية، وأبلى بلاءً حسنًا، ثم عاد إِلَى محبسه(١).

وفاته:

توفي أبو محجن الثقفي (ﷺ) سنة ٣٠ من الهجرة، بمنطقة (باصع)، وهي مدينة (ماصوع) على ساحل الحبشة(٢)، وقيل بأذربيجان أو جرجان، وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم، وقد طالت وأثمرت، وهى معرشة على قبره (٣).

شعره:

يعد أبو محج الثقفي من الشعراء المقلّين، ورغم ذلك فقد كان شعره من

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. المتوفى (٤٦٣هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ١٩٩٢م) ١٧٤٦/٤. وتاريخ الأدب العربي: بروكلمان: ١٦٧/١.

(٢) تاريخ الأدب العربي : بروكلمان. ١٦٧/١.

(٣) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ). تحقيق: بشار عوّاد معروف . (دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م) ١٦٧/٢، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: قي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي (المتوفى: ٨٣٢ هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الأولى : ١٩٩٨م) ٣١٨/٦. والأغاني: ١٣/١٩.

أجود الشعر وأعذبه، قال فيه أبو هلال العسكري (رحمه الله): " كان شاعرًا شريفًا قد فضلت أبياته القافية على كل شعر قيل في معناها"[١]، وقال عنه ابن عبد البر: "كَانَ شاعرًا مطبوعًا كريمًا"[٢].

وقد جاء معظم شعره على بحر الطويل، يليه بحر البسيط، "مما يؤكد على أن شاعرنا يُمَثِّل عصره ، ـ من الناحية الإيقاعية ـ إذ أن من المعروف أن بحر الطويل، والبحر البسيط هما أكثر البحور الشعرية استحواذًا على الإيقاع الشعري لدى شعراء الجاهلية وصدر الإسلام"[٣]، ولعل ذلك يرجع إلى ما يتوافر في هذين البحرين لا سيما بحر الطويل من كثرة المقاطع بما يتناسب وجلال موقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة؛ لذا جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم على هذا الوزن[٤]، التي كانت سائدة في تلك الفترة، "ومع ذلك فقد رأينا في شعر أبي محجن (ﷺ) المقطوعات السريعة التي تناسب حياته التي قضاها بين الفروسية والخمر والتوبة، ولعل أشهر أغاضه الشعرية وصف الخمر والفروسية والفخر والحكمة والغزل"[٥] .

(١) من ديوان الشعر العربي (١ـ ديوان أبي محجن الثقفي ٢ـ ديوان صفوان التجيبي ٣ـ ديوان ابن مرج الكحل): د/ محمد سالمان . (الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ٤٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٧٤٦/٤.

(٣) من ديوان الشعر العربي : د/ محمد سالمان. ٢٦.

(٤) موسيقى الشعر العربي: د/ إبراهيم أنيس . (مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثانية : ١٩٥٢م) .٥٧.

(٥) من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ) . د/ طلعت أبو حلوة : ٦

ب ــ قيمة القيد في الدرس البلاغي

قال الشيخ الجرجاني (رحمه الله) في كتابه دلائل الإعجاز: "وجملةُ الأَمْرِ أَنَّه ما مِنْ كلامٍ كانَ فيه أمرٌ زائدٌ على مجرَّدِ إثباتِ المعنى للشيء، إلاَّ كان الغرضَ الخاصَّ من الكلام، والذي يُقْصَد إليه ويزْجى القولُ فيه. فإذا قلت: "جاءني زيد راكبًا"، و "ما جاءني زيدٌ راكباً" كنتَ قد وضعْتَ كلامَكَ؛ لأن نثبت مجيئه راكبًا أو ننفي ذلك، لا لأن تُثْبِتَ المجيءَ وتنْفِيَه مطلقاً. هذا ما لا سبيلَ إلى الشَّكَّ فيه"(١). وقال صاحب مفتاح العلوم بعد حديثه عن القيود وأنواعها : " فهذه كلها تقييدات للمسند، وتفاصيل يزداد الحكم بها بُعدًا " (٢)، ومن ثم يتضح لنا قيمة هذا القيد عند البلاغيين في تحرير الكلام، وركن أكيد من أركان الجلة، لا يحصل الغرض المقصود من الكلام إلا به، وعليه فلا يمكن الاستغناء عنه(٣)، وإن عده بعض النحاة زائدًا لا فائدة فيه للمخاطب(٤).

---

(١) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . المتوفى (٤٧١هـ) . تحقيق: (أبو فهر) محمود محمد شاكر (مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة . الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ٢٨٠ .

(٢) مفتاح العلوم : لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي. المتوفى سنة (٦٢٦هـ) . تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م) ٣٩٠.

(٣) ينظر: القيود والمتعلقات في الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم . د/ أحمد محمد سعيد (رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة . ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ٣٢٥. والبلاغة النبوية في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان . محمد عبد الكريم محمد عاشور. (رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ الزقازيق) ٥٠.

(٤) ينظر : علل النحو: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ). تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. (مكتبة الرشد – الرياض / السعودية. الطبعة الأولى:=

المبحث الأول

بلاغة التقييد بالكلمة بالمفردة في ديوان أبي محجن الثقفي

المقصود بالكلمة المفردة في باب التقييد ما كان القيد فيه حالا مفردًا أو ظرفًا أو مفعولًا، وقد ورد التقييد بتلك القيود في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ) في مقامات وسياقات متعددة لكل منها بواعثه ودلالاته، وسوف نتناول ـ بحول الله وقوته ـ في الصفحات المقبلة كل قيد من تلك القيود على حده.

المطلب الأول

من بلاغة التقييد بالحال المفرد

من المعلوم أن المقصود بالحال: هو الوصف المبين لهيئة صاحبه (من فاعل أو مفعول) عند وقوع الفعل، وتنقسم بحسب الإفراد وعدمه إلى: مفردة، وجملة، وشبه جملة، فالمفردة: ما ليست جملة ولا شبهها، وشبه الجملة هو: "الظرف، والجار مع مجروره"، والجملة قد تكون اسمية أو فعلية[1]، ولما أفردت

=١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) ٣٧١. والمفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) . تحقيق: د. علي بو ملحم (مكتبة الهلال – بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٣م) ٨٩.

(١) ينظر : متن شذور الذهب : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ). (مطبعة مصطفى البابي الحلبي . دون تاريخ) ١٧، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ). (الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا) ٣١٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (دار الفكر للطباعة والنشر=

الدراسة مطلبا خاصًا بالتقييد بالظرف فقد اكتفى الباحث بالنظر في التقييد بالحال المفردة والحال الجملة.

ومن التقييد بالحال المفردة في ديوان أبي محجن (ﷺ) ما جاء في مقام ذم الخمر بعد توبته منها :

سَأَتْرُكُهَا مَذْمُومَةً لَا أَذُوقُهَا ∴ وإِنْ رَغَمَتْ فِيهَا أُنُوفُ حَوَاسِدِي [1]

يعلن الشاعر توبته عن معاقرة الخمر، ويصف حالها معه فقد صارت بعد توبته منها مذمومة عنده ومبغضة إلى نفسه.

وموضع النظر هنا في قوله: (مذمومةً) فهي حال من الضمير العائد إلى الخمر في قوله: (سأتركها)، والواقع موقع المفعول، وهذه الحال تكشف ما آلت إليه الخمر بعد توبته منها من الذمامة، بعد أن كانت محببة إلى نفسه، وهذا كله بعد إعلان التوبة الخالصة إلى الله عن شرب الخمر، وذلك بعد موقعة القادسية، وما فعله سعد بن وقاص (رضي الله عنه) معه، حين أبلى أبو محجن بلاء حسنا في تلك الموقعة وقد كان حبيسًا، فلما علم سعد خبره، أقسم ألا يحده في الخمر ثانية، فأقسم أبو محجن على ألا يشربها أبدا، وقال: كنت آنف أَن أدعها من أجل جلدكم [2] .

وقوله : (سأتركها) عبر فيه بالمضارع وخلصه للاستقبال؛ ليكشف بذلك عن صدق عزمه في الإقلاع عنها، وأن توبته منها توبةً صادقةً ومتجددة في مستقبل أيامه يومًا بعد يوم، وقوله: (لا أذوقها) تأكيد على معنى الترك، وهو من باب توالي

= والتوزيع) ٢٤٩/٢ وما بعدها، والنحو الوافي : عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ). (دار المعارف الطبعة: الخامسة عشر) ٣٦٣/٢ـ ٣٩٤.

(١) من ديوان الشعر العربي : ٧٠.

(٢) خزانة الأدب : للبغدادي: ٤٠٨/٨.

الجمل الخبرية، ولما أكدت الجملة الثانية معنى الجملة الأولى فصل بينهما؛ لنزول الثانية منزلة الأولى من نفسها، فالمؤكد والمؤكد كالشيء الواحد(١)، ومن ثم ترك العطف بينهما، وهذا كله من أجل التأكيد على صدق العزم في ترك الخمر، بعد أن صارت عنده إلى الحال المذكورة، وبعد ما آل هو إليه من سقوط مهابته في أعين أعدائه وحساده بكثرة جلده فيها .

***

ومن التقييد بالحال المفردة ـ أيضًا ـ ما جاء في مقام حديثه عن نفيه، وكيف وقع له الفرار والخلاص من ذلك النفي:

مَن يَرْكَبُ البَحْرَ والبُوصِيُّ مُعْتَرِضًا ∴ إِلَى حَضَوْضَى فَبِئْسَ المَرْكِب التَمَسَا(٢)

فالشاعر يتحدث عن نفي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) له؛ لكثرة جلده في الخمر، إلى ذلك الجبل الذي كان ينفى إليه الخلعاء، وكيف أنه لاذ بالفرار من هذا المصير التعس.

(١) ينظر : دلائل الإعجاز: صـ٢٢٧.

(٢) من ديوان الشعر العربي: ٥٧. والبوصي : فارسية معربة ، ومعناه الزورق أو المركب الصغير. لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): (دار صادر ـ بيروت ـ دون تاريخ) مادة (بوص) . ومعترضا: أي ذاهبًا عرضًا : لسان العرب : مادة (عرض) وشرح الديوان: ٥٧. وحضوضى. بفتح أوله والضادين، وسكون الواو، مقصور، مثال قرورى: جبل في الغرب، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها. معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) . (دار صادر ـ بيروت . الطبعة الثانية : ١٩٩٥م) ٢٧٢/٢.

وقوله (معترضًا) حال من فاعل يركب، والواو في (البوصي) بمعنى مع(١)، والمعنى: أنه من يركب البحر مصاحبًا لمركب، حالة كونه معترضًا أي: ذاهبًا في البحر حتى يصل إلى ذلك المكان فبئس ذلك المركب.

ولا شك في أن هذه الحال تكشف عن سلب إرادة ذلك الراكب، وتسليم مقادته إلى مركبه، يذهب به أنى شاء، وهذا أمر يكشف عن مذلة الراكب، وهوانه، وأنه لا خيرة له فيما هو ذاهب إليه، وتلك كانت حالة الشاعر حين نفي إلى جبل (حضوضى)، بسبب معاقرته الخمر، وكثرة حده عليها، حتى استشاطت نفسه غضبًا وثورة على هذا المآل الذي يوشك أن يؤول إليه، فتغلب على حارسه، وفرّ منه ملتحقًا بسعد بن أبي وقاص (رضي الله عن الجميع) .

والملاحظ هنا أن الشاعر توجه بجامّ غضبه إلى المركب (البوصي) فصبّه عليه؛ حيث إنه هو وسيلة نفيه، فسلط عليه أداة الذم (بئس) وهي لإنشاء الذّم العام، وتعرب فعلا ماضيًا، غير أنه متجرد من دلالته الزمنية، ومنسلخ عنها بعد أن تكوّنت منه وفاعله جملة إنشائية غير طلبية(٢)، فالقصد هنا إثبات مطلق الذم لذلك المركب الذي يطلبه لنقله إلى منفاه.

***

ومن مجيء الحال مفردة في ديوان أبي محجن قوله يوم القادسية حين تواقع الناس، فنظر إليهم أبو محجن (ﷺ) وقد فشلوا: فقال :

إذَا قُمْتُ عنَّاني الحديدُ وأُغْلقَت ∴ مصارعُ دوني قد تَصُمّ المُنَادِيَا

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ). تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل. (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ١٥٥.

(٢) النحو الوافي: ٣٦٩/٣.

وَقَـدْ كُنـتُ ذَا مَـالٍ كَثِيـرٍ وَإِخْـوَةٍ ∴ فَأَصْـبحتُ مِـنْهُم وَاحِـدًا لَا أَخَـا ليَـا
فَإِن مِتّ كَانَت حَاجَـةً قَد قضيتُهَا ∴ وخلَّفْـتُ سَـعْدًا وَحْـدَه وَالأَمَانيَـا

فالشاعر يعلن أسف الشديد على حاله حين حبس، والمسلمون تزهق أرواحهم يوم القادسية، ويطلب أن يطلق سراحه ليشاركهم الدفاع عن دينه وأوطانه، فإن مات فتلك غايته التي يسعى إليها، ويكفيه أن يخلف وراءه أمانيه التي كان يتمناه، وسعد بن أبي وقاص الذي تُخَلَّفَ يومها عن ساحة الحرب لعلة أصابته(١).

وقد جاءت لفظة الحال (وحده) تكشف عن تفاني الشاعر وبسالته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين يوم القادسية، كما تكشف ـ أيضًا ـ عن هول ما رآه من شدة إعمال القتل في المسلمين من الفرس، وكأنه يرى أنه لن ينجوَ اليوم أحد من الناس إلا من لم يحضر ساحتها كسعد بن أبي وقاص.

***

ومما رود في التقييد بالحال المفردة ـ أيضا ـ في ديوان أبي محجن، ما قاله (ﷺ) في رجل من مزينة مرّ عليه قوم من سليم، فاستسقوه لبنًا فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ازدروه، فأرادوا أن يستاقوها، فجلد لهم

(١) من الثابت أن سعد بن أبي وقاص لم يحضر يوم القادسية بل كان في قصره، وقد نقل صاحب معجم البلدان ذلك فقال : وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فنسب إلى الجبن، فقال رجل من المسلمين:

ألم تر أن الله أنزل نصره ∴ وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ∴ ونسوة سعد ليس فيهنّ أيّم .

معجم البلدان :٤/٢٩١. وعزا صاحب الأغاني تخلف سعد عن الحضور لعلّة كانت به، لم يقدر معها على حضور الحرب. الأغاني : ١٩/٩.

حتى قتل منهم رجلًا، وأجلى الباقين عن الإبل؛ فقال في ذلك أبو محجن (ﷺ):

فَكَرَّ عَلَيْهِمُ بالسَّيْفِ صَلْتًا ∴ كَمَا عَضَّ الشّبا الفَرَسُ الجَمُوحُ[1]

فَأَطْلَقَ غُلّ صَاحِيَه وَأَرْدَى ∴ جَرِيحًا مِنْهُم ونَجَا جَرِيحٌ [2]

يحكي الشاعر عن شجاعة ذلك الغلام، واستماتته في الدفاع عن إبله، ويصف كيف كان يقاتل عن تلك الإبل وحده بسيفه، فأعمل فيهم القتل والتنكيل، حتى تركهم بين قتيل وجريح وفار بدمائه.

وقوله: (صَلتًا) حال من السيف، ومعناه متجردًا من غمده، حادًّا في ضربته، وتعكس تلك الحال شدة تهيؤ ذلك الفتى، ومدى استعداده وشجاعته في الذود عن إبله، وكيف انه لم ينحن ويستسلم لأولئك الرجال من سليم، الذين غرتهم كثرتهم كما غرهم ظاهر حال ذلك الغلام.

أما التشبيه في قوله : (كما عض الشبا الفرس الجموح) فهو تشبيه أصاب حاق المعنى، حيث تم به بيان صورة قتل هؤلاء الرجال على أيدي ذلك الغلام، وكيف أنه قد صال فيهم وجال، فكان يحصد أرواحهم بسيفه كما يقضم الفرس الجموح سيقان الشبا.

واختار صفة (الجموح) لتكون قيدَا للمشبه به (الفرس)؛ لأن المقصود هو بيان تلك الحركة العشوائية السريعة الخاطفة التي كان عليها ذلك الشجاع وهو

---

(١) سيف صلت وصليت : منجرد ماض في الضريبة. والشبا: نوع من العشب (الطحلب اليمني)، والفرس الجموع حو السريع النشط الذي إذا حمل لم يرده اللجام. ينظر : لسان العرب : مادة (شبا) و (عصم) و (جمح)

(٢) الغُل: بضم الغين : شدة العطش وحرارته . لسان العرب . مادة (غلل)

يحصد رؤوس أعدائه المغيرين عليه، وتشبيه تلك الحركة بحركة الفرس الجموح، ولا يتم المقصود إلا بذلك القيد، وكذلك تخصيص الشبا، وهو نبات أخضر لين المرعى، ولما كان الغرض بيان شدة الإيقاع بهم وأن سيفه قد بلغ فيهم مبلغه، فهم بالنسبة له كالنبات الأخضر سهل القضم والهضم، وتلك الحركة العشوائية السريعة الخاطفة والتي عليها الفرس الجموع وذلك الفتي الشجاع لا يناسبها طمأنينة الرعي، وإنما عضٌ وتهشيم؛ ومن ثم قال : (كما عض الشبا) ولم يقل رعى أو غيره .

ثانياً: التقييد بالظرف .

الظرف أو ما يمكن أن يُسَمَّى بالمفعول فيه هو ذلك الوعاء الذي يحتوي الحدث، زمانا أو مكانا، فالمكان أو الزمان هما وعاء الحدث، والحدث ذاته مظروف فيه؛ لذلك لا بُدَّ للظرف من متعلق يتعلق به يكون مشتقًا أو قائمًا مقام المشتق[1]

وللتقييد بالظرف . عمومًا . موقع خاص في أنفس المتكلمين، حين يبرزون من خلاله أهمية الزمان أو المكان الذي كان وعاءً للحدث، الذي أثار شجونهم وانفعالاتهم فيعمدون إلى تسجيل ذلك الحدث مقترنًا بزمانه أو مكانه.

أولًا: ظرف الزمان .

كان أبو محجن (ﷺ) حريصًا على تسجيل بعض الأحداث مقرونة بذكر أزمنتها؛ لغرض يتطلبه المقام، ويكشف عنه السياق، ومن ذلك قوله في الخمر . وذلك قبل توبته منها .

أُبَاكِرُهَا عِندَ الشّروقِ وتَارةً ∴ يُعاجِلُني بعد العشيّ غبوقها [1]

(١) ينظر : التطبيق النحوي . د/ عبد الراجحي . (دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٥م) .٢٤٠

فالشاعر يصف ولهه الشديد بالخمر، وعدم قدرته على مجانبتها، فهي تصاحبه وتلازمه في جميع أوقاته، وتستغرق عليه يومه كله.

وقوله (عند الشروق ـ وبعد العشي) تقييد لزمان وقوع الشرب، والضمير في (أباكرها، وغبوقها) يعود إلى الخمر، ولو اكتفى بقوله : أباكرها ـ وغبوقها، لفهم منه أن زمان شرب الخمر هو وقت الصباح والعشي، ولكنه آثر التصريح بالظرف (عند الشروق – بعد العَشِيِّ) تأكيدًا على إبراز زمان الحدث، وإظهارًا لشغفه الشديد بالخمر، إلى الحد الذي يجعله يعالجها في الصباح قبل اشتغاله بغيرها، والمفاعلة في (أباكرها) تكشف عن هذا الوله الشديد بالخمر وشدة التعلق بها.

وللتأكيد على التناغم الشديد بين الشاعر وشرابه، صَوَّرَ الشاعرُ الخمرَ كائنًا حيًّا يبادله الاهتمام اهتمامًا، والإقبال إقبالًا، فهو وإن كان يباكرها وقت الصباح، ويتعجل شربها، فهي بدورها تعاجله بعد العشي، وإسناد فعل المعاجلة إلى الشراب مجاز يُبرز شدة شغف الشاعر بالخمر، ويبني جسور التواصل بين الشاعر وشرابه.

والفعل المضارع في الفعلين (أباكرها ـ ويعاجلني) يكشف عن ديمومة هذا الشغف واستمراره في كل أوقاته، وهذا ما كان يعزم الشاعر عليه ويحرص على إظهاره قبل إعلان توبته النصوح.

****

ومن التقييد بظرف الزمان ـ أيضًا ـ في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في وصف شجاعته:

---

(١) من ديوان الشعر العربي: ٨٤. والغبوق: ما شرب حارًّا من اللبن بالعشي. لسان العرب. مادة (غبق)

أُعطِي السّنان غداةَ الرَّوعِ نِحلَتَه ∴ وعامِلُ الرّمحِ أرْوِيه من العلق[1]

فالشاعر هنا يفتخر بشجاعته، وأنه قد أعطى كل سلاح له حقه، بحسن استخدامه في القتل والطعن[2]، وتقييد فعل القتل هنا بوقوعه وقت الغداة في قوله: (غداة الروع) إشارة إلى شدة جاهزية الشاعر وتهيؤه، ومباغتته أعداءه، وإعمال القتل فيهم وقت بكورهم، وكأن قتاله لهم صار ضربًا من سنن الله في إهلاك المعاندين، حيث يوقع بهم العذاب فيسيء صباحهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾ القمر: ٣٨ ، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾الصافات: ١٧٧ ، فالشاعر قد اختار وقت الغداة؛ تنكيلا بأعدائه، وكأنه يرمي إلى كونه جنديًّا من جند الله في تحقيق إهلاك هؤلاء الأعداء.

كما عمل الفعل المضارع في قوله: (أعطي و أروي) على استحضار مشاهد القتل من ساحات الوغى أمام عين كل مخاطب، وكأن الفعل المضارع هنا مرايا عكست هذا المشهد، فلم يعد مجرد خبر تسمعه الآذان، وإنما حقيقة مصورة أمام العيون.

كما عمد الشاعر إلى تأكيد شجاعته، وتنكيله بأعدائه حين جعل طعن الأعداء وضربهم دينًا عليه يوفيه للسنان والرمح، ووفاء بما اعتادت عليه أسلحته

---

(١) من ديوان الشعر العربي: ٢٤ . والسنان : مفرد أسنة، وهي تلك الحديدة الموضوعة في مقدمة الرمح، سميت بذلك لصقالتها وملاستها . والغداة : وقت الغدو، وهو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. والنحلة : العطية دون عوض. عامل الرمح وعاملته: صدره دون السنان، ويجمع عوامل، وقيل هو ما يلي السنان. والعلق: الدم المتجمد شديد الحمرة. ينظر: لسان العرب : مواد (سنن، وغدا، ونحل، وعمل، وعلق) .

(٢) من أسرار التعبير بالفعل في ديوان أبي محجن (ﷺ) : ٢٥.

من التشبع بدماء هؤلاء الأعداء، وهذا ما يفيده قوله (نحلته) والضمير هنا للسنان، أما عامل الرمح فله حقه . أيضا . من دماء الأعداء حين يتوغل عامله إلى أجسادهم ليتشبع منها، وهذا إمعان في القتل والتنكيل، حيث لم يكتف من أعدائه بقتل، بل يوغل ضربته فيهم بعد تجمد دمائهم وتيبسها في عرقهم بعد الموت، فيرتوي منها عامل رمحه.

****

ثانيا : التقييد بظرف المكان

مما قيد فيه الفعل بظرف المكان في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في حديثه عن شجاعته واستماتته في دفاعه يوم الجسر[1]:

ومَا رِمْتُ حتى خرّقوا برمَاحِهِم ∴ ثيابي وجادَت بالدماء الأَبَاجِلُ[2]

---

(١) يوم الجسر : ويسمى بيوم قس الناطف، هو يوم موقعة بين المسلمين والفرس عام ١٤هـ، على بعد مرحلتين من الكوفة، استشهد فيها جمع كثير من المسلمين يقرب من ثمانمائة مقاتل، منهم أبو عبيد بن مسعود من أجل صحابة النبي (ﷺ): ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) . تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (دار ابن كثير، دمشق – بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ١/١٦٠، وفتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ). (دار ومكتبة الهلال– بيروت ـ ١٩٨٨م) ٢٤٨ ،

(٢) الأباجل: جمع أبجل وهو عرق غليظ من الفرس أو البعير في الرجل أو في اليد بإزاء الأكحل من الإنسان. تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (مطبعة حكومة الكويت ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) مادة: (بجل).

وحتّــى رأيْــتُ مُهْرَتــي مزوئِــرَّةٌ ∴ لــدى الفيــلِ يــدمي نحرُهــا والشَّــوَاكِلُ[1]

يتحدث الشاعر في تلك الأبيات عن موقعة يوم الجسر وما حدث فيها من مقتلة عظيمة للمسلمين على يد الفُرس الذين اصطحبوا معهم فيلًا، حتى سأل أبو عبيد بن مسعود (قائد المسلمين حينئذ) عن مقتل تلك الدابة، فقيل خرطومه، فحمل عليه أبو عبيد فضرب خرطومه، وحمل عليه أبو محجن فضرب رجله فعلقها، فحمل المشركون فقتل أبو عبيد[2].

وقد جاء قوله: (لدى الفيل) ظرف مكان، يظهر من خلاله حمله على تلك الدابة العظيمة التي تترس الفرس بها، وكانت سببًا في مقتل كثير من المسلمين، كما يصف من خلال ذلك الظرف كيف كانت شدة الموقف وهوله، حين اقتربت مهرته من الفيل وهي خائفة مذعورة من شدة القتال، وما تتلقاه من ضربٍ وطعان، أدمى على أثره نحرها وشواكلها.

وقد جاء هذا الظرف في سياق مشعون بما يدل على عظم شجاعة الشاعر وبسالته وقوة ثباته، حيث أخبر في البيت السابق لهذا البيت أنه ما ربح موقعه الذي نزل فيه في ساحة الحرب حتى جاد بدمائه وأدى ما عليه من حق القتال فقال:

ومــا رمــت حتــى خرقــوا برمــاحهم ∴ ثيــابي وجــادت بالــدماء الأباجــل.

---

(١) مزوئرة: مائلة منحرفة ونافرة من شدة الفزع، والزور : الميل ، وازور ازورارا بمعنى عدل وانحرف. والأزور الذي ينظر بمؤخرة عينه كناية عن الفزع. والشواكل : جمع شاكلة، وهي من الفرس: الموضع الذي بين عرض الخاصرة والثفنة، وهو موصل الفخذ في الساق. ينظر: لسان العرب : مادة (زور، وشكل). والأبيات في الديوان: ٦٦.

(٢) ينظر: فتح البلدان : ٢٤٨ .

ونلحظ هنا دخول حرف النفي (ما) على الفعل الماضي (رام) والذي معناه تَحَوَّلَ وانصرف؛ ليفيد ذلك النفي رغبة الشاعر في طي تلك الصفحة وتناسيها، فهو فعل قد مضى ولم يبق منه إلا آثاره في نفس الشاعر التي يلومها على أجل لم يأتها بعد فراق صحبته الكرام، تلك الفئة التي نيلت سراتهم، وغودر أفراس لهم ورواحل[1].

وتخريق الثياب في قوله: (خرقوا برماحهم ثيابي)، والمقصود بالثياب هنا جسده، عبر عنه بالثياب وأضاف التخريق إليه وهو من مستلزمات الثياب على سبيل الاستعارة بالكناية، والغرض من ذلك هو استعظام الشاعر أن ينسب الطعن إلى جسده، فنسبه إلى ثيابه، أما تخريق الثياب فهو كناية عن شدة ذلك الطعن وبلوغه في جسده أعظم مبلغ.

وقد يكون نسبة التخريق إلى الثياب من باب المجاز العقلي والمقصود ـ أيضًا ـ بالثياب هو الجسد، وعبر عنه بالثياب لعلاقة المجاورة بين الجسد والثوب الذي يستره، أو لكونه ـ أي الجسد ـ حالاً في الثياب فتكون العلاقة هي المحلية، ولكل من هذه التوجيهات أثره النفسي ومدلوله الخاص لدى المتكلم والسامع على حد سواء، فقد رأينا في الاستعارة استعظام الشاعر أن يُنسب الطعن إلى جسده، ورأينا في المجاز العقلي، استتار الجسد بثيابه، وهذا يدفعنا إلى تصور سقوط ما كان يترس به الشاعر من دروع سابغات وعدم بقاء شيء يترس به إلا تلك الثياب، كما نلمح في المجاز ـ أيضا ـ عدم مبالاة الشاعر بما لاقاه من أعدائه من طعن وضرب، وبيان أن ذلك الطعن مهما بلغ، فإنه لن يعدو أن يكون مجرد تخريق لثياب لا يعبأ به، ولبيان أن ما يبذله الشجعان في ساحات الوغى هو ضرب من

(١) من ديوان الشعر العربي : ٦٤.

ضروب الكرم والجود قال (ﷺ): (وجادت بالدماء الأباجل) فجعل ما يسيل من الدماء من أكحله جودًا، وتكرمًا، وتأمل كيف استعار الأباجل، وهي ما يختص به الفرس والبعير لأكحله، يرسم بتلك الاستعارة قوة تجلده وثباته في قتاله.

ثم يواصل الشاعر تقديم معاذيره عن الانسحاب وترك ساحة القتال فيقول:

وما رُحْتُ حتّى كنتُ آخرَ رائحٍ ∴ وصُرِّعَ حولي الصالحون الأماثل[1]

مَرَرْتُ عَلَى الأَنصَارِ وَسْطَ رِحَالِهم ∴ فقلتُ لَهم هلْ مِنكمُ اليومَ قافلُ؟[2]

لا يزال الشاعر حريصًا على إثبات شجاعته، وملازمته موقعه في القتال، لم يرح حتى حدثت له هذا الأحوال من كثرة القتل في الصحابة الكرام، وحتى لاذ النَّاسُ بالفرار وكان هو آخر رائح، ولم يقل أفرّ أو أهرب، وإنما آثر التعبير بالرّواح؛ ليدل على أن هذا التولي إنما هو استراحة مقاتل يستجمع فيها قواه، ثم يعود فارسًا شجاعًا ذائدًا عن دينه وعرضه.

وموضع النظر هنا هو التعبير بظرف المكان في قوله قوله: (وصرع حولي الصالحون) وقوله: (وسط رحالهم)، إذ يمثل كل منهما وعاءً مكانيًا للحدث الذي جاء قيدا له، كما يعكس كل منهما مدى توجع الشاعر وتفجعه على إخوانه الذين لقوا حتفهم حوله، ولا شك في أن الظرف (حولي) هنا يعني أنهم كانوا يمثلوا سترًا له، يستقوي بهم، فلما صرعوا حوله، انكشف ظهره، فخرق الأعداء ثيابه وجادت بالدماء أباجله، (وصرّع) مبالغة في القتل، مما يعني كثرة إعمال القتل فيهم، وبناؤه للمجهول، يعني سرعة نزول الموت بهم، ومدى تخطف الأعداء لهم، فهم يصرعون

(١) الأماثل: جمع أمثل: وأماثل القوم: خيارهم . لسان العرب مادة (مثل)

(٢) قفل : رجع. والقفول : الرجوع من السفر. لسان العرب مادة (قفل) . والأبيات من ديوان الشعر العربي: ٦٧.

من حيث لا يدرون أين يأتي القتل. وقد زاد الشاعر من بيان تأثره وتفجعه على إخوانه بذكر مناقبهم فهم الصالحون الأماثل، أي خيار الناس، وتلك فجيعة كبرى أن يموت الصالحون من حول المرء ويبقى هو في جلد كجلد الأجرب.

وأما قوله: (وسط رحالهم) فهو ظرف مكان ـ أيضًا ـ قيد به مروره على الأنصار، وهم صرعى وسط رحالهم، ويمثل هذا الظرف نوعًا من الترقي للظرف الذي قبله، يؤكد فيه على إحاطة صحبه به، وأنه مغمور بهم، تلفه عنايتهم، حتى صرعوا حوله، وهو الآن يمر وسط رحالهم بعد استشهادهم مذهولًا لفراقهم، حتى إنه بلغ من شدة الذهول أن ناداهم وهم صرعى (هل منكم اليوم قافل؟)، والاستفهام هنا ينبئ عن شدة التفجع والتوجع لفراقهم، والرغبة كما ينبئ عن شدة الرغبة والتطلع إلى عودتهم إلى ديارهم وهذا ضرب من المستحيلات أخذ يقربه الشاعر بأسلوب الاستفهام هذا.

وقد جاء البيتُ مفصولًا عما سبقه مع كونهما يمثلان إطارًا زمانيًا واحدًا، ومحدثًا عنه واحدا، فكلا الحدثين في الزمن الماضي، والمحدث عنه في البيتين هو هؤلاء الصحب الصالحون، فكان مقتضى الظاهر أن يربط بين البيتين بالواو، لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظًا ومعنى، وهو من مواطن الوصل بين الجمل[1]، غير أن الشاعر فصل بين البيتين، وترك العطف بينهما؛ ليكون كل منهما كلاما مستقلاً، ومعنى مستقلاً بذاته، وكأن قطعًا حدث للكلام الأول، واستئنافًا حصل للثاني بعد الأول، قطع الكلام يصور قتل الصالحين حوله ويجعله حدثًا مستقلًا بذاته، وفاجعة

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. المتوفى سنة (٧٣٩هـ). تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٣م) ١٢٧. وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : للشيخ عبد المتعال الصعيدي (مكتبة الآداب ـ القاهرة. ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) ٣/٧٣.

يقطر لها القلب دمًا، مما يستوجب الوقوف عنده والنظر فيه، ومروره على الأنصار وسط رحالهم يناديهم (هل منكم اليوم قافل؟) حدث آخر ومقطع آخر، وفاجعة أخرى تستوجب الوقوف عندها ـ أيضًا ـ والنظر فيها، ولو عطف بين البيتين لكان كلاما واحدا وحدثا واحدا وفاجعة واحدة.

***

وقد اجتمع التقييد بظرفي الزمان والمكان في ديوان أبي محجن (ﷺ) في قوله يصف جوده ونجدته :

قَدْ يقْتُر المَرْءُ يَوْمًا وهوَ ذُو حَسَبٍ ∴ وَقَدْ يَثُوبُ سَوَامَ العَاجِزِ الحُمُقِ[1]

قد يكْثُرُ المالُ يومًا بعدَ قلّتِه ∴ ويُكْتَسَى العُودُ بعدَ الجدْبِ بالوَرَق

وقد أَجُودُ وما مالِي بذِي فَنَعٍ ∴ وقد أَكُرُّ وَرَاءَ المُحْجَرِ البَرِقِ[2]

يتحدث الشاعر في تلك الأبيات عن عراقة أصله، وطيب منبعه، وكيف أنه مهما تبدلت به أحواله بين فقرٍ وغنَى، لا يثنيه ذلك عما طبع عليه من الكرم والشجاعة والمروءة والنجدة.

وقد تعددت في تلك الأبيات الظروف ، وتنوعت بين الزمانية والمكانية، فمن ظروف الزمان قوله: (قد يقتر المرء يوما) وقوله: (قد يكثر المال يومًا بعد قلته) وقوله (ويكتسى العود بعد الجدب) .

---

(١) يقتر: أفتر الرجل : أي افتقر. يثوب: يجتمع ويرجع، والمراد به هنا الكثرة. السوام: الإبل ترسل ترعى ولا تعلف. الحمق: الأحمق، ومعنى الحمق وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه . لسان العرب. مواد(قتر، وثوب، سوم، وحمق) .

(٢) من ديوان الشعر العربي : ٥١. والفنع : زيادة المال وكثرته. والمحجر: المضيق عليه في الحرب، وأصله من الحجر وهو الحبس. والبرق: الشاخص البصر. يقال : برّق عينه تبريقًا، إذا أوسعها وأحد النظر. لسان العرب: مواد (فنع، حجر، وبرق).

فـ (يوما) في الموضعين ظرف للزمان المبهم، وهو الذي لا يدل على وقت بعينه[1]، وإنما المقصود وقوع ذلك الحدث في أي زمان كان، مما يعكس تلك الحقائق المقررة، من تغير الأحوال، وتبدل الأمور بين غنى وفقر، وبيان أن أحدا لا يمكث على حال، والمضارع في (يكثر ويقل) للتجدد والاستمرار، فتلك طبيعة الأمور التي ستسير عليها.

وأما قوله (بعد قلّته) فهو ـ أيضًا ـ ظرف زمان جاء ليؤكد على تلك المقابلة، بين أحداث الزمان، وتغيرها وتبدلها من حال إلى حال. وزاد من وكادة تلك الصورة قوله: (ويكتسى العود بعد الجدب بالورق) وهو من التشبيه الضمني الذي لا يكون التعبير فيه نصًا على التشبيه، وإنما تبنى العبارة عليه، ويطوى وراء صياغتها، فنراه هناك مضمورًا مكتومًا[2]؛ ليكون حجة ودليلًا على صدق الكلام السابق، والمقصود أنه كما يحصل للعود اكتساء بالورق بعد الجدب، كذلك قد يحصل الغنى للمرء بعد الفقر، فشبه الفقر بالجدب، وكثرة المال بالورق، وحصول الغنى بالاكتساء، ويعكس لنا هذا التشبيه عراقة أصل الشاعر وكرم أرومته، فمهما تبدلت به الأحوال وتنكر له الزمان، فلا يؤثر ذلك على ما جبل عليه من الكرم والجود، كما أن العود إذا تساقطت عنه أوراقه في زمن الخريف، فستظل معاني الحياة فيه كامنة حتى يأتي عليها ربيعها فيكسوها نضرة وجمالًا، وهذا ما أكده بقوله:

وقد أجود وما مالي بذي فنع ∴ وقد أكر وراء المحجر البرق.

(١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ١٠٢

(٢) ينظر : التصوير البياني. دراسة تحليلية لمسائل البيان . د/ محمد أبو موسى. (مكتبة وهبة ـ القاهرة. الطبعة السادسة : ٢٠٠٦م) ٩٠ .

وقد جاءت كلمة (وراء) في هذا البيت ظرف مكان يعكس شجاعة الشاعر وبسالته، وثباته في ساحات القتال يواجه أعداءه، ويقاتلهم، ويطارد من فرّ منهم حتى يضيق عليه خناقه، ويرى في عينيه فزعًا ورعبًا، وهذا قتل معنوي للخصم وإن لم يحصل له قتل حسي، كما جاء المضارع في (أجود وأكر) يعكس ديمومة الجود والكرّ، ويؤكد على دوام كرم الشاعر ومروءته، تأكيدًا على صدق تلك المعاني وتأصلها في طبعه.

***

المطلب الثالث

التقييد بالمفعول

اتجهت عناية البلاغيين إلى البحث في أسرار المفعول به حين يحذف من الكلام، وأرادوا من ذلك التنبيه إلى إثبات المعنى في نفسه للفاعل أو نفيه عنه من غير ذلك نظر إلى مفعول معين، وغير ذلك من الأمور التي ذكروها في الجملة[1]، غير أنهم لم يقفوا كثيرًا للبحث في أسراره حين يذكر، وقالوا إن ذكر المفعول يكون جريًا على ما يقتضيه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، ولكن الخطيب (رحمه الله) في نهاية حديثه عن أحوال المسند إليه والمسند، ومن بين تلك الأحوال الذكر، قال: " وكثيرًا مما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند... والفطن إذا أتقن ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما"[2]، وبهذا يكون فتح بابًا من أبواب الفهم، وتذوق أسرار الكلام في النظر في ذكر المفعول، ومن ثم كان ذلك المطلب المبحث، والذي قصد فيه البحث في أسرار ذكر المفعول به في ديوان أبي محجن (ﷺ).

ومما ورد فيه التقييد بالمفعول به في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في وصف شجاعته:

أُعْطِي السّنانَ غداةَ الرّوع نِحْلَتَه ∴ وعامل الرمح أَرْوِه منَ العَلَقِ

(١) ينظر: الإيضاح: ٨٨، شروح التلخيص .(دار البصائر .ط : الأولى : ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ٢/٢١ .٤٢.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٨٨.

وأطعنُ الطعنةَ النّجْلَاءَ عن عُرُضٍ ∴ تنفي المَسَابِير بالإزبَادِ والفَهَقِ [1]

قيد الشاعر الفعل (أعطي) هنا بمفعولين، الأول: السنان، والثاني، نحلة، كما قيد الفعل (أروي) بالضمير العائد على الرمح وجعله مفعولا به، وقد رمى الشاعر من وراء هذا القيد إلى إثبات شجاعته، وقوة بأسه، وتنكيله بأعدائه، فجعل الطعن دينًا عليه يوفيه لسناه ورمحه، يشبعهما بدماء أعداء التي ألفوا الارتواء منها.

أما تقييد العطاء بكونه للسنان فهذا تشخيص للسنان، وجعله محلًا للعطاء، ونحلة السنان التي أعطاها له الشاعر هي ما يتطلع إليه ذلك السنان من التشبع بدماء الأعداء، وكأنه ذلك السنان يلح في طلب هذه الدماء إلحاحًا.

والشاعر لم يكتف بأن لبّى حاجة سنان رمحه، وعامله بالتشفي من دماء أعدائه، وإنما بالغ في ذلك الطعن حتى كان طعنه عميقًا غائرًا، فلا تجدي المسابير التي تقاس به الجروح معه نفعًا لعمقه واتساعه.

وقوله (تنفي المسابير)، قيّد فيه الفعل (تنفي) المتعلق بالطعنة النجلاء بالمفعول (المسابير)، والغرض من التقييد بهذا المفعول هو المبالغة في إظهار نفاذ تلك الطعنة، وبيان مدى سعتها وبعد غورها في جسد المطعون، حتى إنها لشدة عمقها واتساعها وقبح ما يخرج منها لا يستطيع أحد أن يقرب منها ولا سيبر

(١) من ديوان الشعر العربي: ٤٧، ٤٨. الطعنة النجلاء: الواسعة. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب. (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان. الطبعة الأولى : ٢٠٠١م) مادة (نجل) عرض الشيء: ناحيته وجانبه، وكأنه طعمة خلسة. المسابير: جمع مسابر، وهو ما يقاس به الجرح ليعرف مقداره وعمقه. والإزباد: ما يخرج من الجرح. والفهق: الواسع من كل شيء. لسان العرب : (عرض، وسبر، وزبد، وفهق).

غورها، ونسبة النفي للطعنة هنا على سبيل المجاز، لعلاقة السببية، كما يقال منعتهم السيوف عن دخول البلد والمراد أصحابها[1].

ومن التقييد بالمفعول ـ أيضا ـ في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في مالك بن عوف[2]:

هابَــتِ الأعْــدَاءُ جانِبَنــا ∴ ثــمَّ تغْزُونــا بنُــو ســلَمَه

وأتَانَــا مالــكٌ بهــم ∴ نَاقِضًــا للعَهْــدِ والحُرْمَــه

واتونَــا فِــي منَازِلِنــا ∴ ولقــد كُنّــا أولــي نقمَــه

قال أبو محجن (ﷺ) هذه الأبيات عندما استعمل رسول الله (ﷺ) مالك بن عوف على قومه وعلى من أسلم من القبائل المنتشرة حول الطائف، فكان يقاتل بهم ثقيفًا، "والشاعر ينعي على مالك بن عوف ومن كان معه غزوهم لثقيف، وهم من هم في شجاعتهم وبسالتهم، وهيبة أعدائهم لهم، هذا إضافة إلى نقضه للعهد والحرمة"[3].

---

(١) شرح الديوان : ٥٠.

(٢) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، من هوازن: صح أبي من أهل الطائف. كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد " هوازن " كلها لحرب رسول الله (ﷺ) وكان من " الجرارين " قال ابن حبيب: " ولم يكن الرجل يسمى جرارا حتى يرأس ألفا " ثم أسلم. وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية وفتح دمشق، استعمله النبي (ﷺ) على هوازن، فكان يقاتل ثقيفا قبل أن يسلموا فلا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى يصيبه. الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) . (دار العلم للملايين ـ الطبعة الخامسة عشر . ٢٠٠٢م) ٥/ ٢٦٤.

(٣) من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل : ١٥.

أما تقييد الفعل (هابت) بالمفعول (جانب) المضاف إلى ضمير المعظم نفسه، فقد جاء ليؤكد على قوة قوم الشاعر وشدة بأسهم، وأنهم في منعة وعزة، يهاب جانبهم، وتحفظ حرماتهم، وهذا أمر أراد الشاعر أن يبثه معلومًا لدى الناس، لا شك فيه ولا إنكار؛ لذا صاغ الخبر (هابت الأعداء جانبنا) مجردًا من أي مؤكد، وحرف العطف (ثم) في قوله: (ثم تغزونا بنو سلمة) لاستبعاد حصول ذلك الغزو، مع ما عليه قومه من القوة والمنعة، والتباطؤ الشديد في نطق تلك الجملة (ثم تغزونا بنو سلمة) الناتج من التضعيف في (ثم) والمد واللين في (تغزونا بنو)، كل ذلك يشي باستبعاد مضمون الجملة من حصول غزو بنو سلمة لقوم أبي محجن (ﷺ)، والنفي والإنكار والتشنيع على من زعم حصول ذلك.

***

ومن التقييد بالمفعول ما جاء في قول أبي محجن (ﷺ) مفتخرًا بدينه وخلقه:

لا تسْأَلي النّاسَ عنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ ∴ وَسَائِلِي القومَ عنْ دِيني وعن خُلُقِي

قَدْ يَعْلَمُ القَوْمُ أنّا من سَرَاتِهم ∴ إذا سَمَا بَصَرُ الرِّعْدِيدَة الفرقِ[1]

جعل الشاعر في هذه الأبيات مناط الفخر والاعتداد على الأخلاق والدين، وليس على ما اعتاد عليه كثير من الناس، من قصر أسباب الفخر والسيادة على كثرة المال.

وقد جاء المفعول (الناس والقوم) قيدين لفعل السؤال المنهي عنه في قوله: (لا تسألي) والمثبت في قوله: (وسائلي)، والملاحظ أن المفعول الذي قيد به فعل السؤال المنهي عنه في قوله: (لا تسألي) جاء بلفظ الناس، والمفعول الذي قيد به

(١) من ديوان الشعر العربي: ٤٥.

اسم الفاعل العامل عمل الفعل المثبت (وسائلي) جاء بلفظ القوم، وهذا مسلك دقيق من الشاعر المطبوع أبي محجن الثقفي، وضع فيه اللفظ في موضعه الذي يقتضيه، فعبر في جانب كثرة المال والنهي عن السؤال عن ذلك بلفظة الناس؛ لأن ما يعني كثير من الناس هو جمع المال، ولا يقدم عند كثير من الناس ألا ذوو النفوذ وأصحاب رؤوس الأموال، وكثرة من الناس فيها المنخدع بالمظهر، والسائر في ركاب السائرين يقول إذا أحسن الناس: أحسنت، وإن أساءوا: أسأت. هذا شأن عامة الناس، أما من يعتد به منهم فهؤلاء هم القوم الذين هم أبصر بحقائق الأشياء، وأقدر على التمييز، فحين يسأل عن خلق الرجل ودينه، إنما يتوجه بالسؤال إليهم، وليس إلى عموم الناس، ومن ثم قال: (وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي، وصاغ الأمر بالسؤال هنا في قالب اسم الفاعل العامل عمل الفعل، دليلًا على ثبات ذلك المقياس، وتقريره في باب المفاضة بين الناس، أما في جانب المال، فجاء بالفعل الصريح منهيا عنه (لا تسألي) مما يعني بطلان هذا المقياس من منظر الشاعر، وقد كان هذا البيت يلقى استحسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ)، فقد ورد أنه سأله عمر بن الخطاب (ﷺ): من أشعر الناس؟ قال: الذي أحسن الوصف وأحكم الرصف وقال الحق، قال: ومن هو؟ قال: أبو محجن في قوله: لا تسألي الناس عن مالي وكثرته ...[1].

***

ومن التقييد بالمفعول ـ أيضا ـ في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في الخمر ـ قبل توبته منها ـ :

أَلَا سَقِّني يا صاحِ خمرًا فَإِنَّنِي ∴ بَما أنزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ

(١) ينظر : شرح الديوان : ٥٣، ٥٤.

وَجُـدْ لِـي بِهَـا صِـرفًا لأَزْدَادَ مَأْثَمًـا ∴ فَفِـي شُـرْبِهَا صِـرْفًا تَـتِمُّ المَـآثِمِ[1]

هِـي النّـارُ إلّا أنّنِـي نِلْـتُ لـذَّةً ∴ على شُرْبِها وقضّيْتُ أوطَاري وإن لامَ لائِمُ[2]

من المعلوم أن الشاعر كان مدمنا للخمر، لا ينفك عن شربها، وقد حُدّ فيها كثيرًا، حتى تاب الله عليه، وهذه الأبيات تجسد كيف كان تعلق الشاعر بالخمر، ولم يمنعه ما أقيم عليه من الحد، بل إنه كان يرى في توقيع الحد عليه داعيا من دواعي معاودته لشربها.

وقد جاء التقييد بالمفعول في تلك الأبيات في أكثر من موضع، فجاء في قوله: (سقني خمرًا) وقوله: (لأزداد مأثمًا) وقوله، (نلت لذّة)، وهو في كل تلك المواضع يعكس تعلق الشاعر الشديد بالخمر، وتلذذه بجريان اسمها على لسانه.

وقد أكد الشاعر هذا الإحساس بأكثر من مؤكد في تلك الأبيات، حيث افتتح الشاعر أبياته بأداة التنبيه (ألا) بدلالتها على أهمية المعنى الذي جعلت مفتتحًا له، فهي أداة لفت وإيقاظ وتنبيه، ولا تأتي إلا في كلام له في نفس المتكلم خطر وشأن، وهو يريد أن يلفت المخاطب من أول الأمر إلى شأن ذلك المعنى.

ثم أردف أداة التنبيه بفعل الأمر (سقّني) بما فيه من تضعيف يكشف عن شدة التعلق، ومدى المبالغة فيها، وبيان أنه لا يكتفي منها بمجرد السقيا العابرة، بل لا بُدّ له من معاودة شربها مرة تلو مرة، فالتضعيف في (سقني) يكشف عن تكرار الشرب ومعاودته والمبالغة فيه.

ثم ترقى الشاعر في إثبات شغفه الشديد بالخمر، وتيئيس من ينهاه عن شربها فقال: (فإني بما أنزل الرحمن فيها عالم) ، واختصاص اسم الرحمن من بين

(١) من ديوان الشعر العربي: ٧٠ .

(٢) الصرف : الخالص من شيء، وشراب صرف أي بحت لم يمزج. لسان العرب . مادة (مزج) .

أسماء الله ـ تعالى ـ تعلقًا من الشاعر برحمة الله، رغم استغراقه في معصية الشرب، فهو يحسن الظن بربه، ويعلم مدى سعة رحمته، والفاء في قوله: (فإني) رتبت ما بعدها على ما قبلها ترتب العلة على معلولها، " وكأن هنا كلامين متمايزين أحدهما علة للآخر، قامت الفاء بينهما مقام العلة الخارجية"[1] .

ويبدوا من خلال تلك الأبيات مجابهة الشاعر وتحديه لمن ينتقده على شرب الخمر، وكان سبب تلك الأبيات كما نقل شارح الديوان هو ما قاله سعد بن أبي وقاص (ﷺ) لأبي محجن (ﷺ) وكان لا يزال مقيمًا على شرب الخمر: لتنتهين أو لأوجعنك ضربًا، فقال: لست تاركها لقولك أبدًا، وقال تلك الأبيات[2]، فالمواجهة والمكابرة هنا ليست تحديًا لما أنزل الله (ﷻ)، والشاهد على ذلك هو اختصاص اسم الرحمن في إضافة الإنزال إليه، وإنما نغمة التحدي هنا إنما هي لمقالة سعد بن أبي وقاص (رضي الله عن الجميع).

وعليه فإن التقييد بتلك المفاعيل (خمرًا ومأثمًا ولذة) جاء يعكس تعلق الشاعر الشديد بالخمر، وكيف أن العقوبة وحدها ليست رادعة له عن شربها، فلما كان العفو من سعد (ﷺ) وتعهده ألا يحده في الخمر أبدًا، هنا ظهر المعدن الشريف لأبي محجن (ﷺ) وآلى على نفسه ألا يعود إلى شربها ثانية.

***

ومن شواهد التقييد بالمفعول في ديوان أبي محجن (ﷺ) ولكنه في مقام التوبة من شرب الخمر، والعزم على تركها ما جاء في قوله :

---

(١) دلالات التراكيب . دراسة بلاغية . د/ محمد محمد أبو موسى . (مطبعة وهبة ـ القاهرة الطبعة الرابعة. ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م) ٣١٥.

(٢) شرح الديوان : ٧٠.

أَتُــوبُ إِلَــى الله الــرَّحِيمِ فإِنّــهُ ∴ غَفُــورٌ لِــذَنبِ المَــرْءِ مَــالَمْ يُعَــاوِد
وَلَسْتُ إِلَى الصّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا ∴ وَلَا تَابِعًــا قَــوَلَ الســفيه المعانــد
وَكَيْـفَ وقَـد أَعْطَيـتُ ربّـي مواثقًـا ∴ أعـودُ لَهـا واللهُ ذُو العَـرْشِ شَـاهِدي
سَــأَتْرُكُها مَذْمُومَــةً لَّا أَذُوقُهَــا ∴ وَإِنْ رَغِمَـت فِيهَـا أُنُـوفُ حَوَاسِـدِي[1]

في الأبيات عدة مفاعيل، منها ما هو اسم ظاهر، ومنها ما هو ضمير عائد غلى الاسم الظاهر، فأما الاسم الظاهر فنه قوله: (ولا تابعًا قول السفيه المعاند) فقول السفيه متعلق بقوله (تابعًا) وهو فاعل عمل عمل الفعل، والتقييد بالمفعول به هنا يشير إلى ما كان عليه الاشعر من قبل، من شدة تعلقه بالخمر، وما كان يذكره فيها من كلام كنحو: (ألا سقني يا صاح خمرا .....) وقوله:

إذا مـت فـادفنّي إلـى جنـب كرمـة ∴ تـروي عظـامي بعـد مـوتي عروقهـا
ولا تـــدفنني بـــالفلاة فـــإنني ∴ أخـــاف إذا مـــا مـــت ألا أذوقهـــا[2]

ولا يبعد أن يكون قول السفيه المعاند هو ذلك الكلام، ويكون الشاعر قصد بالسفيه نفسه حينما كان مُصِرًا على شرب الخمر.

ومن المفعول الذي جاء اسمًا ظاهرًا قوله : (وكيف وقد أعطيت ربي مواثقًا) والمراد مفعولي (أعطى) وهما (ربي) و (مواثقا)، ولا شك في أن التصريح بلفظ الجلالة الواقع موقع المفعول الأول لأعطى مما يربي المهابة في النفس، ويدفع إلى التمسك بتلك المواثيق، والنص على لفظ الرب، لما فيه من التربية، والتعهد للعبد في كل أحواله، والذي يأمل الشاعر أن تظل عناية ربه ملازمة له حتى يتم له كمال

(١) من ديوان الشعر العربي : ٦٩، ٧٠.
(٢) من ديوان الشعر العربي : ٨٢، ٨٣.

التوبة . كما أن في ذكر المواثيق، وصياغتها في قالب الجمع زيادة في تأكيد شان تلك المواثيق؛ حرصا على الالتزام بها، والتحذير من مخالفتها.

أما ما جاء من المفاعيل في تلك الأبيات ضميرًا ففي قوله: (سأتركها) وقوله: (لا أذوقها)، وهو هنا هائد إلى الصهباء، وهي الخمر إذا ضرب لونها إلى البياض وهي بالنسبة للخمر كالعلم[1]، وعبّر بالضمائر هنا مع كثرة الفواصل بينها وبين ما تعود إليه، مما كان يستلزم ـ في الظاهر ـ إعادة التصريح باسمها، تحاشيًا من جريان ذكر صريح اسم الخمر أو صفة ملازمة لها على لسانه؛ تأكيدا على كراهتا ومجانبتها، فالمرء إذا كره شيئًا جانبه، وعف لسانه عن التحدث في أمره، فضلا عن التصريح باسمه.

(١) لسان العرب . مادة (صهب) .

المبحث الثاني

من أسرار التقييد بالجملة في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ)

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: من بلاغة التقييد بجملة الشرط.

المطلب الثاني: من بلاغة التقييد بجملة الحال.

المطلب الأول

التقييد بجملة الشرط وأسراره البلاغية

كلمة الشرط تعني : العلامة ، وأشراط الساعة :أعلامها[١]، ومعناه عند النحويين قريب من هذا، قال ابن يعيش: " ومعنى الشرط العلامة والأمارة، فكأن وجود الشرط علامة على وجود جوابه "[٢]، فهو ربط بين حدثين برباط السببية ، بحيث يكون الأول سببًا للثاني ، والثاني مسببًا عن الأول[٣]. "ولا بُدّ له من أدوات مخصوصة تدل على سببية الأول للثاني "[٤]، ولكل أداة من هذه الأدوات خصائص واستخدامات استقرأها علماء النحو من خلال ورود تلك الأدوات في الأساليب

(١) لسان العرب . مادة (شرط).

(٢) شرح المفصل : جـ٥/ صـ١٠٥ .

(٣) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها . محمد الأنطاكي. (دار الشرق العربي . بيروت) : جـ٢/صـ٥٣ .

(٤) الكليات ، لأبي البقاء الحنفي. تحقيق / عدنان درويش ، ومحمد المصري . (مؤسسة الرسالة . بيروت): صـ٥٣١.

العربية المختلفة [1] ، كما أن لها إيحاءات بيانية وأسرار بلاغية تظهر قيمتها في سياقها ومقامها ، وحين توضع أداة لتفيد معنى غير الذي وضعت له في أصل اللغة[2]. ومن بين هذه الأدوات التي جاءت في أحاديث الأحكام مقترنة بجملة الشرط: (إذا ، وإن) وكان لهاتين الأداتين مع جملة الشرط مواقع وأسرار نحاول الوقوف عليها والكشف عن أسرارها ودقائقها .

أولا: التقييد بالجملة الشرطية التي أداتها (إذا).

من المعلوم أن أداة الشرط (إذا) تستخدم في الشرط المقطوع بوقوعه[3]، وتعكس تحقق وقوع الجواب لتحقق وقوع الشرط .

ومما جاء فيه التقييد بجملة الشرط مقرونًا بـ (إذا) في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في ذم الخمر:

يقولُ أُنَاسٌ اشربْ الخَمْرَ إنَّهَا ∴ إذَا القَوْمُ نالُوهَا أصابُوا الغَنَائِمَا

فقُلْتُ لهم جهلًا كذبْتُم أَلَمْ ترَوْا ∴ أَخَاهَا سفيهًا بعْدَ مضا كَانَ حَالِما

وأضْحَى وَأَمْسَى مُسْتَخَفًّا مُبْهَمًا ∴ وحَسْبُكَ عارٌ أن ترَى المرءَ هائِما[4]

يتحدث الشاعر في تلك الأبيات عم أولئك الصنف من الناس الذين يحببون له الخمر، ويذكر أن من جملة ما قالوه له أن شربها يعد غنيمة لشاربها؛ لما

---

(١) ينظر : أسلوب الشرط في البيان النبوي مواقعه وأسراره . دراسة تطبيقية في الصحيحين رضا السعيد فايد. (رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود . جامعة الأزهر. ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م) : صـ١٣. بتصرف

(٢) البلاغة النبوية في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان: ١١٣.

(٣) خصائص التراكيب. د/ محمد محمد أبو موسى. (مكتبة وهبة ـ القاهرة . الطبعة السابعة . ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م) ٣٢٢.

(٤) من ديوان الشعر العربي : ٦٨،٦٩.

يحصل له من سرور(١)، فرد عليهم مقالتهم، ووصف ما يقولونه بالكذب والافتراء، الصادر عن جهل وسوء تدبر، ولو كان ما قالوه صدقًا لما رأيت شاربها سفيها، هائمًا على وجهه، مستخفًا به لا يدري ما يقول ويفعل.

والشاهد هنا في قوله على لسان أُناسه: (إذا القوم نالوها أصابوا الغنائما)، وهي جملة شرطية، علق حصول جوابها (إصابة الغنائم) على حصول فعلها (نوال القوم لها) بمعنى معاقرتهم لها، وقد رتب هذا الجواب على الشرط على وجه يقطع بتحققه متى حصل فعل الشرط، حيث اقترنت فيه جملة الشرط بـ (إذا)، وقد حشدوا في كلامهم كل ما يمكن أن يقرب كلامه هذا من الإمكان، ويجعله واقعا مشاهدا، فأظهروا ما تأنفه الطباع السليمة والفطر السوية في صورة الأمر المعتاد، فشرب الخمر عندهم أمر مقطوع بوقوعه، ويقع من أشراف القوم، ومن تقام لهم المجالس، ومتى شربوها حصلت لهم الغنائم، والتعريف في (القوم) تعريف كمال، ثم أعادوا ذكر القوم ثانية عن طريق الضمير الواقع موقع الفاعل للفعل نال في قولهم: (نالوها)، وهذا يعني تكرار المسند إليه مرتين: الأولى باعتباره مبتدأ، والثانية باعتباره فاعلًا، وهذا كله من باب التنبيه إلى قيمة هؤلاء القوم، ورفعة قدرهم . من وجهة نظر من يحدّث أبا محجن (ﷺ)، وتأمل كيف عبروا عن شرب الخمر بالأمر المُنال، والنوال في أكثر مواقعه لا يكون إلا في حصول الخير والعطاء والمعروف(٢)، والتعريف في الغنائم يعني أنها بلغت الغاية فيما هي موصوفة به، فهي الغنائم الحقة، الجديرة بوصف الغنائم، وما عداه من غنائم لا يستحق بجانبها هذا الوصف،

(١) ينظر: شرح الديوان : ٦٩.

(٢) ينظر : لسان العرب . مادة (نول) .

كل ذلك من باب حشد الوسائل المعينة على الإقناع لجذب المخاطب على مقارفة ما يقنعونه به.

أما أبو محجن (ﷺ) فكان حديثه عن محاوريه له وقع آخر، حيث وصفهم بالناس وجاء به منكرًا في قوله : (يقول أناس) تهوينًا لهم، وتحقيرا لشأنهم، فهم أدنى من أن يقام لرأيهم وزن، أو أن ترفع له مقالة، حيث شغلوا أنفسهم بما لا يشتغل به، وصرفوا عنايتهم إلى ما يسقط مروءتهم، بل جعلوا هذا الأمر المشين ذروة سنام ما يطمحون إليه ويرجون نواله.

***

ومما قيد فيه بجملة الشرط التي أداتها (إذا) في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله:

عَسَى فرجٌ يأتِي بِهِ اللهُ إنّه ∴ لهُ كلُّ يومٍ في خليقَتِه أمرّ
عسَى مَا تَرَى ألا يَدُوم وأن ترى ∴ له فرجًا ممَّا ألحّ به الدّهْرّ
إذَا اشْتَدّ خَطْبٌ فارْجُ يُسْرًا إنّه ∴ قَضَى اللهُ أنّ العُسْرَ يتْبعُهُ اليُسْرُ[1]

يقضي الشاعر في تلك الأبيات بما جرت عليه العادة من أن دوام الحال من المحال، وأن لله (ﷻ) في خلقه شئونًا يصرفها كيفما شاء، وأن من تمام الإيمان ألا ييأس المرء لضر أصابه أو عسر نزل به، بل يسلم مقادته لله، فإن مما قضى به الله (ﷻ) أن العسر يتبعه يسر، قال ـ تعالى ـ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ الشرح: ٥ ـ ٦، وقد بني البيت الأخير من تلك الأبيات على الشرط والجواب، وجعلت أداة الشرط (إذا) أداة له في قوله: (إذا اشتد عسر فارج يسرًا) وقد أكدت هذه الأداة بما فيها من القطع بوقوع الشرط أكدت على يقين الشاعر الراسخ بتلك القضية

(١) من ديوان الشعر العربي: ٩٣.

وتحققه منها، وهو ن العسر يتبعه يسر، وإذا اشتد الخطب فإن الفرج قريب، ولبيان أن هذا اليقين نابع من عقيدة خالصة وليس مجرد تجارب يمر بها في حياته جاء قوله: (إنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر)، وقد جاءت تلك الجملة تمثل جوابًا عن سؤال يثريه الكلام السابق في نفس المتلقي، ويدفعه إلى استجلاء سبب هذا اليقين الراسخ بأنه إذا اشتد عسر فإن الفرج قريب، فجاءت تلك الجملة تلبي هذا التطلع وتفي بتلك الرغائب في نفس السامع، وبذلك يتأكد المعنى من الناحية العقلية، وتتحقق المتعة النفسية وإشباع حاسة الفن والجمال[1]، ومن ثم فصل بين الجملتين؛ لصحة وقوع الثانية جوابًا عن سؤال تثيره الجملة الأولى، وهو ما يعرف بالاستئناف البياني[2].

***

ومما جاء في التقييد بجملة الشرط التي أداتها (إذا) في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله يوم القادسية:

كَفَى حُزْنًا أن تُطْعَنَ الخَيْلُ بِالقَنَا ∴ وأُصْبِحُ مَشْدُودًا عليَّ وثَاقِيَا

إِذَا قُمْتُ عنَّانِي الحديدُ وأُغْلِقَت ∴ مَصَارِعُ دُونِي قد تصُمّ المُنَادِيا[3]

(١) ينظر : أسرار الفصل والوصل. د/ صباح عبيد دراز. (مطبعة الأمانة ــ الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).١١٦ .

(٢) ينظر: علم المعاني. دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. د/ بسيوني عبد الفتاح فيود. (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ــ القاهرة. الطبعة الثالثة. ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م) ٤٦٣.

(٣) من ديوان الشعر العربي: ٧٢. عناني : من العناء وهو المشقة والتعب. ومصارع: مصراعا الباب: بابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط من المصراعين. لسان العرب. مادتي (عنا وصرع)

قال الشاعر هذه الأبيات يوم القادسية، حينما نظر أبو محجن (ﷺ) من محبسه إلى الناس وقد فشلوا، فأنشد تلك الأبيات، وقال لامرأة سعد بن أبي وقاص (ﷺ) واسمها سلمى بنت أبي حفصة، قال لها: أطلقيني، ولك عليّ عهد الله وميثاقه لئن فتح الله على المسلمين وأنا حيّ لأرجعن إلى محبسي، فأطلقته فركب فرسًا بلقاء لسعد وخرج، فشق الصفوف مقبلًا ومدبرًا، وأشرف سعد من القصر فنظر، فقال: لولا أن أبا محجن مقيد لقلت إن الفارس أبو محجن، وهذه فرسي البلقاء[1].

وأما قوله: (إذا قمت عناني الحديد....) فيصف فيه الشاعر قوة أصفاده وقيوده، وما كبّل به، مبالغة في إذلاله والتنكيل به عقوبة له على شرب الخمر، وقد عكست أداة الشرط (إذا) في تلك الجملة رغبته (ﷺ) في الخلاص من قيوده، والقيام إلى إخوانه لنجدتهم في ساحة الحرب، واختصاص فعل القيام بالذكر في قوله: (إذا قمت) دليل على علوّ همة الشاعر (ﷺ) وبيان أنه ممن يقومون في الشدائد، ولا يرضون بذل الحبس والتنكيل، والمقصود هنا إرادة القيام وليس القيام نفسه؛ لوجود موانعه، وإنما عبر بالقيام إظهارًا لصدق العزم وقوة البأس وشدة الرغبة في الوصول ما أراده.

والتضعيف في (عنّاني) يعكس شدة معاناته في أغلال الأسر وقيوده، وإسناد فعل المعاناة هنا إلى الحديد وهو سببه، مجاز يرسم شدة تلك المعاناة.

ثم أخذ الشاعر في تصوير محبسه؛ إمعانًا في إظهار ما تعرض له من شدة التنكيل، حال قتال المسلمين الفُرس في القادسية، وكيف كان يقبع في ذلك المحبس بعيدًا عن الأنظار والأسماع، فقال: (وأغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا)، والجملة معطوفة على جواب الشرط وداخلة في حيزه، فإذا قام عنّاه حديد أغلاله،

(١) ينظر شرح الديوان: ٧٢.

وأغلقت دونه أبواب محبسه، والتضعيف في (غلّقت) يكشف عن تعدد تلك الأبواب، وشدة إحكام غلقها.

والضمير في (تصم) يعود إلى تلك المصارع والمراد بها مصارع الأبواب التي غلقت دونه، ونسبة فعل الصمّ إليها على سبيل المجاز؛ لأنها سبب في منع وصول صوت المنادي من الخارج، فأضيف الفعل إليها إظهارًا لقوة ذلك السبب، والصمم لا يحصل للمنادِي وإنما للمنادَى، وإثباته للمنادِي إثبات للمنادَى من باب أولى .

***

ومن التقييد بالشرط الذي أداته (إذا) قول أبي محجن (ﷺ) :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبَا حَفْصٍ مُغَلْغَلَةً ∴ عَبَدَ الإِلَه إذَا مضا غَارَ أو جَلَسا[1]

أنّي أكُرُّ على الأُولَى إذا فزعُوا ∴ يومًا وأَحْبِسُ تحتَ الرّايةِ الفَرَسَا[2]

أَغْشَى الصّبَاح وتغشاني مضاعفةٌ ∴ من الحديد إذا ما بعْضُهُم خَنَسَا[3]

يصف الشاعر في تلك الأبيات شجاعته وإقدامه، ودفاعه عن قومه، وكيف أنه قد فرّ من ابن جهراء، ولحق بسعد (ﷺ) في قتاله الفرس، فقال هذه الأبيات مخاطبًا فيها صاحبه المفترض أن يبلغ أمير المؤمنين عمر(ﷺ) رسالة مفادها أنه ما هرب من نفيه إلا ليكون مُدافعا عن دينه وقومه.

---

(١) مغلغلة : رسالة محمولة من بلد إلى بلد. غار: الغور: المكان المنخفض من الأرض، والجلس ما ارتفع منها، وقيل الغور تهامة وما يلي اليمن، والجلس نجد. لسان العرب : مواد (غلل، ونجد، وجلس) .

(٢) الأولى : من الأول والمقصود بها مقدمة الخيل. السابق . مادة (وأل).

(٣) المضاعفة: الدرع ضوعف حلقها ونسجت حلقتين حلقتين ، وخنس الرجل إذا تأخر. السابق. مواد (ضعف، وخنس)

وقد ورد التقييد بالشرط في تلك الأبيات في أكثر من موضع، وكلها جاءت مقرونة بأداة الشرط (إذا). أول تلك المواضع قوله: (إذا ما غار أو جلسا) وتلك هي جملة وقد أخرت عن الجواب الذي هو قوله: (عبد الإله)، والمعنى أنه متلبس بعبادة ربه في كل أحواله، إذا نزل منخفضًا من الأرض أو مرتفعًا منها، فهو عابد لله (ﷻ)، ومجيء أداة الشرط (إذا) هنا يكشف عن ثباته أمير المؤمنين (ﷺ) على تلك الحال، وأنها صارت عادته وطبعه الذي لا ينفك عنه، ولا يشك أحد ممن يقبل عليه أن يلقاه عليها في أي حال أو مكان.

وأما الموضع الثاني: فقوله: (أني أكر على الأولى إذا فزعوا)، ويصف فيه شجاعته البالغة، وكيف يكر على مقدمة صفوف أعدائه يواجه النخبة من فرسانهم وشجعانهم، في وقت فزع الناس وسيطرة الرعب عليهم، حينئذ لا يثبت إلا أبو محجن ومن على شاكلته، فالتقييد بإذا هنا جاء للتأكيد على شجاعة الشاعر، وإثباتها حقيقة مقررة في نفس كل مخاطب.

وقد أكد هذا المعنى بالبيت الذي بعده في قوله:

أغشى الصباح وتغشاني مضاعفة ∴ من الحديد إذا ما بعضهم خنسا

فهو يؤكد على ثباته في ساحة القتال في الوقت الذي يفر فيه الناس، وهذا هو معنى البيت السابق، ولما كان البيت الثاني توكيدًا لمعنى البيت الذي قبله فصل بين البيتين بترك العطف بينهما؛ لوقوعهما موقع الكلام الواحد، وقوله: (إذا ما بعضهم خنسا) يفيد تحقيق تأخر بعضهم عن القتال لشدته، كما يفيد تحقق وقوع الجواب، وهو أن الشاعر يغشى أعداءه متترسا بدروعه حينما يخنس بعضهم.

***

ثانياً: التقييد بجملة الشرط التي أداتها (إن).

تستعمل (إن) في الشرط غير المقطوع بوقوعه، بأن يتردد في وقوعه في المستقبل، أو يظن عدم وقوعه ويترجح على الوقوع، ويكون مما لا يقع إلا نادرًا، وقد تستعمل (إن) في الشرط المقطوع بوقوعه لنكتة بلاغية[1].

ومما قيد فيه بالشرط الذي أداته (إن) في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في ذم الخمر بعد توبته منها:

سَأَتْرُكُهَا مَذْمُومَةً لَا أَذُوقُهَا ∴ وإن رغمت فيها أنوفُ حَوَاسِدِي [2]

فحساده يسرهم ما هو عليه من السكر، وقلة المروءة؛ لأنه يسقط بذلك عند المسلمين[3]، ولا شك في أنه إذا ترك فإن ذلك يغيظ حساده، ويورثهم المذلة، وهذا أمر مقطوع به، ولكنه قيد تلك المراغمة وحصول المذلة لحساده بإن فقال: (وإن رغمت فيها أنوف حواسدي)؛ تجاهلًا منه لهؤلاء الحساد، وعدم اعتداده بهم، وأنه لا ينظر إليهم ولا إلى رِدّة فعلهم من معاقرته الخمر أو إقلاعه عنها، وإنما الذي يعنيه هو تركه الخمر، وإعلان توبته الصداقة وإقلاعه عن شربها، وتبدل حالها معه وحاله معها، فقد صارت عنده شيئا مذمومًا، وهذا الذي يعنيه أكثر من عنايته بردة فعل حساده، ومن ثم قيد فعل الشرط هنا بـ (إن) مخالفة لظاهر المقام، ولما يتوقع أن يحدث لهم، كما نلمح في هذا الشرط ـ أيضا ـ عن طريق (إن) تعريضًا بهؤلاء الحساد وتوبيخًا لهم، وبيان أنهم في حسدهم له لا يجرون على ما يجب أن يكون

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٧٩/١، وعلم المعاني. د/ بسيوني فيود. ١٩٧، ٢٠٩.

(٢) من ديوان الشعر العربي : ٧٠. رغم الأنف: كناية عن المذلة وعدم القدرة على الانتصاف. لسان العرب. مادة (رغم).

(٣) ينظر: شرح الديوان: ٧٠.

عليه الناس، بل كان الأولى بهم أن يحرصوا على ما فيه منفعته وتطهيره من الإثم، وأن ينفوا عن سريرتهم ذلك الحسد .

ومما قاله أبو محجن (ﷺ) في الخمر . أيضًا . وجاء مقيدًا بالشرط الذي أداته (إن):

إن كَانتِ الخَمْرُ قد عزّت وقد مُنِعَت ∴ وحَالَ مِن دُونِهَا الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أُبَاكِرُهَا رِيًّا وأشرَبُها ∴ صِرْفًا وأُطْرَبُ أحْيَانًا فأمْتَزِجُ[1]

يبدي الشاعر هنا حرصه على شرب الخمر، وذلك قبل توبته منها، غير مكترث بقلتها ومنعها بعد تحريم الإسلام لها، فهو يفتتح يومه بها، فيشربها عند البكور خالصة غير ممتزجة بالماء، وربما خشي على نفسه شدة السكر فيمزجها.

أما قوله: (إن كانت الخمر قد قلت وقد منعت....) فقد دخلت فيه (إن) على أفعال الشرط (قلّ، ومنع، وحال)، وهي بدلالة وضعها توحي بعدم القطع بوقوع الشرط، وهو هنا مقطوع بوقوعه، إذ بعد تحريم الإسلام للخمر تم منعها والحد منها داخل المجتمع المسلم، وكان ظاهر الحال أن يقول: (إذا كانت الخمر قلت ومنعت وحال...)؛ لأنه حينئذ يكون طابق الواقع بكلامه، ولكنه عدل عن التقييد بـ (إذا) الدال على القطع بوقوع الشرط، إلى التقييد بـ (إن) بما فيه من معنى الشك وعدم الجزم بوقوع الشرط؛ لإظهار رغبته الشاعر حينذاك بالخمر وولعه بها، فرجاؤه ألا تمنع الخمر ولا يقل وجودها، وألا تدخل في دائرة المحرمات التي حرمها الشرع الحنيف، هكذا يظهر الشاعر رغبته من خلال تلك الأداة التي قرنها أسلوب الشرط.

وللتأكيد على إظهار تلك الرغبة، والوله الشديد بالخمر جعلها أول ما يفتتح بها يومه، فيشربها وقت البكور، وعبر بالريّ وهو ما كان من ظمأ شديد دليلا على

(١) من ديوان الشعر العربي: ٧٤، ٧٥.

شدة تعطشه لها، ثم ثنى بالشرب في قوله: (وأشربها صرفًا)؛ تماديًا في تعاطيها، فلا يكتفي منها بما يرد ظمأه لها، والحال (صرفًا) يكشف عن شدة التعلق وسرعة التناول لها وقت الصباح، فيتعجل شربها خالصة غير ممزوجة، فإذا شعر بالطرب مزجها.

ولا يخفى هنا دلالة المضارع في (أباكرها وأشرب وأطرب) على التجدد والاستمرار وديمومة الشاعر على تلك الحال، وإن كان المقصود به هنا الماضي، والمعنى (باكرتها وشربتها...)، غير أنه لما أراد إفادة ديمومة الفعل واستمراريته عدل عن لفظ الماضي إلى المستقبل.

ومما جاء فيه الشرط مقرونًا بـ (إن) قوله يوم القادسية، وهو في محبسه:

وقَدْ كنتُ ذَا مَالٍ كثيرٍ وإخْوَةٍ ∴ فأَصْبَحْتُ منهم واحِدًا لا أخَا لِيَا

فإن متّ كانت حاجةً قَدْ قضَيْتُهَا ∴ وخَلَّفْتُ سَعْدًا وَحْدَهُ والأَمَانِيَا[1]

الشاعر هنا يرثي حاله في محبسه، ومفارقته إخوانه وأصفياءه، وتفرده بعد ذلك وحيدا لا أخا له، ثم هو ينمي إليه خبر مصارع القوم في القادسية، وفشل تلك النخبة وهؤلاء الفتيه التي نيلت سراتهم بالطف وغودر أفراس لهم ورواحل، وهو جاثم في قيوده، إذا قام عنّاه الحديد، وغلقت مصارع دونه قد تصم المناديا، فيزداد تألما على تألمه، ويطلب من امرأة سعد أن تطلق سراحه معطيا لها العهود والمواثيق أن يرجع إلى محبسه إذا كتب الله لهم الظفر وله النجاة، إما إذا قضى نحبه، ولقي ربه شهيدًا فتلك غايته التي عاش لأجلها.

أما أسلوب الشرط في قوله: (فإن مت كانت حاجة قد فضيتها...) فقد اقترن فيه بأداة الشرط (إن) خلافًا لما عليه ظاهر المقام، فإن وقوع الموت في

(١) من ديوان الشعر العربي: ٧١.

ساحة القتال أمر أقرب إلى التحقق والإمكان من النجاة منه، ولكنها رغبة الشاعر في الحياة، والظفر بأعدائه، والثأر لأصفيائه وإخوانه، وإثلاج صدره برؤية مصارع الأعداء.

أما إن كانت المماة فتلك غايته وحاجته التي يسعى إليها، وهو الموت في سبيل الله، وفي قوله: (قضيتها) اقتباس من قول الله (ﷻ): ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الأحزاب: ٢٣، وإدخال من الشاعر لذاته في تلك الثلة المباركة التي صدقت فيما عاهدت ربها عليه، وتلك غاية ما بعدها غاية، والتعبير بالماضي في قوله: (قد قضيتها) أمارة على يقين أبي محجن (ﷺ) بحتمية الموت، وإيمانه الراسخ بقضاء الله وقدرة، ولا يتنافى ذلك مع ما أظهره في مطلع البيت من الرغبة في الحياة والتشفي من الأعداء، والذي دل عليه بأسلوب الشرط الذي أداته (إن)؛ لأن ذلك ما يجب أن يكون عليه المؤمن، في مواجهة الأعداء من الحرص على هزيمتهم، والتنكيل بهم، وألا يمكن من نفسه عدوه، ولما جرت سنة الله أن يتخذ من عباده شهداء فلأن يلقوا الله هم على هذه الحال من الثبات والجلد أحب وأولى من أن يتمكن منهم عدهم فيقتلهم بعد تغلبه عليهم.

***

المطلب الثاني

التقييد بالجملة الحالية

قال الجرجاني (رحمه الله): " واعلم أن كل جملة وقعت حالًا ثم امتنعت من الواو، فذلك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالًا ثم اقتضت الواو فذلك لأنك تستأنف بها خبرًا، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات"(١).

فهذا النص يعد أصلًا في التي بالجملة الحالية، والفرق بين مجيئها معطوفة وغير معطوفة، فمجيء الواو مع الجملة الحالية يؤذن باستقلالها عن الكلام الأول، وذلك لخصوصية فيها اقتضت هذا التمايز بين الكلامين، "وبسقوط الواو تصبح في حكم الحال المفردة، وتتصل بالجملة التي هي قيد فيها اتصالًا ذاتيًا، كما تتصل الصفة بالموصوف، وجملة الخبر بالمبتدأ؛ لأنها حينئذ تكون الغرض الذي يتجه إلى المعنى، ويزجى القول فيه"(٢)

ومن شواهد التقييد بجملة الحال المقترنة بالواو في ديوان أبي محجن (ﷺ) ما جاء في قوله:

قد يقْتُر المرءُ يومًا وهوَ ذو حسبٍ ∴ وقد يثوب سوام العاجز الحُمُقِ
قد يكْثُرُ المالُ يومًا بعدَ قلّتِه ∴ ويُكْتَسَى العُودُ بعدَ الجدْبِ بالوَرَق
وقد أَجُودُ وما مالِي بذِي فَنَعٍ ∴ وقد أَكُرُّ وَرَاءَ المُحْجَرِ البَرِقِ(٣)

(١) دلائل الإعجاز : ٢١٣.

(٢) الواو ومواقعها في النظم القرآني. د/ محمد الأمين الخضري. (رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر. القاهرة. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ٤٧٤.

(٣) من ديوان الشعر العربي : ٥١.

فقد وردت تلك الأبيات في سياق الحديث عن شجاعته ومروءته وعراقة أصله وكرم أرومته، وتنبيه السامع إلى أن المال لا يكسب المرء شرفًا ليس من طبعه، وأن قانون الاحتكام في مقاييس الشرف والسيادة ـ في نظر الشاعر ـ يجب أن يرجع إلى الخلق والدين، فقد جاء في مطلع تلك الأبيات قوله :

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته *** وسائلي القوم عن خلقي وعن ديني.

" فالإنسان ذا النسب العريق، والحسب الشريف، قد يدركه الفقر، ويقل ماله، وعلى العكس فقد يكثر مال الإنسان العاجز الأحمق الأبله، الذي لا يحسن الرعي، ولا يجيد تدبير الأمور، وقد يكثر المال يوما بعد قلته، فيصير الفقير غنيًّا، كما أن العود الجدب قد يكتسى بعد الجدب بالورق، وقد ذكر كذلك أنه ؛ إذ يجود وما ماله بكثير، وقد يكر وراء المضيق عليه في الحرب، الفز الشاخص البصر"[1]

وقد وردت جملة الحال مقترنة في تلك الأبيات في موضعين:

الأول: قوله: (قد يقتر المرء يومًا وهو ذو حسب)، فقوله: (وهو ذو حسب) حال من فاعل يقتر، وهو (المرء)، والمعنى أنه قد يقل مال المرء ويفتقر، ويضيق عليه، فيمسك على نفسه في النفقة، ولا يقدح ذلك في كرمه، وشرفه وحسبه؛ لأن تقتيره لأمر عارض، وقد جاءت جملة الحال (هو ذو حسب) مقرونة بالواو؛ حيث قصد الشاعر تمييزها عن الكلام السابق، وصرف عناية المخاطب إلى تلك الحال، وبيان أن معناها مما يجب أن يوقف عليه، وأن محل النظر والعناية والاهتمام في شأن المرء أن ينظر إلى حسبه وشرفه وعراقة أصله، وليس الأمور العارضة من غنى أو فقر؛ لذا بنى جملة الحال على ذكر المحدث عنه (هو) وصدر به الجملة،

(١) من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (ﷺ): ٣٨.

وبنى الحكم عليه تمييزا لذلك الحكم وما أسند إليه، ولم يقل مثلا: (قد يقتر المرء ذو الحسب)، وإنما عمد إلى صياغتها على النحو المذكور تمييزًا لها، فإن صاحب النسب الشريف والأصل العريق قد يقتر يوما ويضيق عليه، كما قد يكثر مال العاجز الأحمق، ويزداد ماله، وهذا هو شان الزمان، فبقاء حال الأمور العارضة فيه من المحال، ويبقى دائمًا الدين وحسن الخلق وكرم الأصل هو الفيصل بين الناس.

والملاحظ أن الشاعر لم يعمد إلى أية حال من أحوال العاجز الحمق فيسندها إليه؛ لأنه لا يعنيه أمره، ولا يعتد بكثرة ماله، وبيان أن ذلك العاجز الحمق سيظل على طبعه مهما تغيرت أحواله، فالشأن فيه ألا يذكر، وألا يجري له على لسان أهل الشرف والمروءة ذكر، أما صاحب الحسب الشريف، والأصل الرفيع فهذا هو مقصد الناس، يجري ذكره الحسن على ألسنتهم، ولا يلتفت لما يعرض له من أحوال ليست من طبعه.

أما الحال الثانية: فهي قوله: (وقد أجود وما مالاي بذي فنع)، فجملة (وما مالي بذي فنع) حال من ضمير التكلم في (أجود) يعكس ما يكون عليه عند جوده وكرمه، من قلة المال، وضيق ذات اليد، وتلك محمدة لصاحبها حين يجود على قلة ماله، وباب من أبواب الإيثار لا يقدم عليه إلا من طبع على الكرم، ولا يمكن أن يأتي على تلكف وتطبع؛ لذا عمد الشاعر إلى فصل تلك الحال بالواو لتمايز معناها في نفسه عن الكلام السابق، ولمزيد لفت وتنبيه إلى خصوصية هذا المعنى.

كما تدل تلك الحال على أن أصحاب النفوس الكريمة لا يصرفهم عما اعتادوا عليه من الجود والكرم عوارض الفقر والحاجة، فيستمرون في جودهم وكرمهم بما يملكون ـ وإن قلّ ـ، وهذا ما يؤكد عليه المضارع في قوله: (أجود) بما فيه من دلالة على استمرارية الحدث وديمومته في كل زمان وعلى أية حال.

ومما جاءت فيه جملة الحال مقرونة بالواو . أيضًا . في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله حينما نفاه امير المؤمنين عمر (ﷺ) إلى جزيرة حضوضى، وبعث معه ابن جهراء حارسًا عليه، ففر منه على شط البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص (ﷺ):

الحَمْـــدُ للهِ نجَّـــاني وخلَّصـــني ∴ مِـن ابـن جَهْـرَاءَ والبُوصـيّ قَـدْ حُبِسَـا
مَن يَرْكَبُ البَحْرَ والبُوصِيُّ مُعْتَرِضًا ∴ إلَـى حَضَوْضَـى فَبِـئْسَ المَرْكِـب التَمَسَـا[1]

يلهج الشاعر في تلك الأبيات بالحمد والثناء على الله بما هو له أهل، على ان نجاه من النفي، ويسر له سبل الفرار والخلاص، على كثرة الموانع وتنوع العوائق، واستحالة النجاة، فهذا ابن جهراء حارس له، والمركب قد هيئت وحبست لتنقله إلى جزيرة حضوضى.

أما قوله: (والبوصي قد حبسا) فتلك جملة حالية، تبين هيئة الشاعر وملابسات أحواله عند وقوع النجاة له، وتوضح كيف كانت الأسباب قد هيئت لنفيه، ومجيء تلك الحال مفصولة بالواو يعكس تمايز معناها في نفس المتكلم، وإحساسه المتعاظم بشدة الخطر، وتمثل تلك الحال تصويرًا حيًّا لآلام نفسه، حين رأى المركب الذي سيحمله إلى منفاه، وقد هُيّئ وحبس لنقله، فأثار هذا المشهد في نفس الشاعر من معاني الألم والحزن وشدة الخوف، فوق ما كان يحسه من ملازمة ابن جهراء له، ومن ثم عمد إلى فصل جملة الحال (والبوصي قد حبسا) عن الكلام السابق بالواو، وبنى الفعل (حبس) على مالم يسم فاعله، حيث لا فائدة من ذكره، فالمهم عنده هو إبراز المركب محبوسا ومهيأ لنقله.

(١) من ديوان الشعر العربي: ٥٧.

كما عمد الشاعر إلى استهلال كلامه بالحمد والثناء على الله؛ مسارعة إلى شكر الله على الخلاص من الأسر والنفي، دليلا على عظم تلك النعمة، وأنها عند حصوله دفعت القلب واللسان دفعًا إلى التوجه إلى الله (ﷻ) مباشرةً بالحمد والذكر الحسن والثناء الجميل.

وقوله: (نجاني وخلصني) وقع موقع الاستئناف البياني، والجواب عن سؤال يثيره الكلام السابق في نفس السامع، مفاده: لماذا تحمد الله (سبحانه وتعالى)؟ فكان قوله: (نجاني وخلصني) جوابًا عن هذا التساؤل، وتلك طريقة في النظم يعمد إليها المتكلم لإشراك المخاطب في صياغة الكلام وبناء التراكيب، وتخرج الكلام من قالب الأسلوب الخبري الرتيب، إلى بناء حواري متكامل، عمل فيه كل من المتكلم والمخاطب على صياغة أجزائه وبناء تراكيبه.

والملاحظ هنا ـ أيضًا ـ أن (خلصني) و (نجاني) بمعنى واحد، وهو مما حدا بأبي هلال العسكري (رحمه الله) أن يحكم على هذا التركيب بعدم الجودة، فقال في شرحه للبيت: "ونجاني وخلصني واحد في المعنى، وإنما كرر للتوكيد، وقد يقال أوجعته وآلمته، وليس ذلك بالجيد في الشعر؛ لأن من حق الشعر أن تكون ألفاظه كالوحي، ومعانيه كالسحر"[1]، ولكن كيف يكون لذكر الشيء فائدة كتقرير المعنى وتوكيده، ثم يحكم عليه بعدم الجودة؟!، فكل ما جاء لغرض يقصد إليه المتكلم، ويعكس حالة شعورية تجاه هذا المعنى لا يفاد بدونه فهو جيد، وتركه تضييع للمعنى.

***

(١) شرح الديوان : ٥٧.

ومما اقترنت فيه جملة الحال بالواو في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في ذم الخمر:

وَلَسْتُ إِلَى الصّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا ∴ وَلَا تَابِعًا قَوْلَ السفيه المعاند

وَكَيْفَ وقَد أَعْطَيتُ ربّي مواثقًا ∴ أعودُ لَها واللهُ ذُو العَرْشِ شَاهِدي[1]

فالشاعر يعني في تلك الأبيات توبته الصداقة عن شرب الخمر، ويقطع على نفسه العهود ألا يعود إلى شربها ما بقي حيًّا، ولن ينجر في شربها خلف سفيه معاند، وسبق أن ذُكر أن الشاعر قد يكون قصد بالسفيه المعاند نفسه حينما كان متعلقًا بها، يتغنى بشربها، أو يكون مقصده هؤلاء الين يزينون له شرب الخمر، قائلين له: (...اشربْ الخَمْرَ إنَّهَا * إذَا القَوْمُ نالُوهَا أصابُوا الغَنَائِمَا)[2]، ولا يبعد أن تكون الغاية هي النظر إلى ذات الكلام وأنه لا يصدر إلا عن سفيه، ويكون التعريف في السفيه لبيان أنه بلغ الغاية في السفه.**

والمهم أن جملة (وقد أعطيت ربي مواثقًا) وقعت حالًا، وقدمت على عاملها (أعود)، وأصل الكلام (وكيف أعود لها وقد أعطيت ربي مواثقا)، وتقديم الجملة الحالية هنا يعكس أهمية تلك الجملة، وعظم معناها في نفس منشئها، فهي هنا محور الارتكاز، ومناط الكف عن شرب الخمر، وعليها يكون التشنيع إذا وقعت المخالفة، ولما كانت بهذا القدر من العناية والاهتمام قدمت وجيء بها في أنف الجملة مفصولة بالواو.

كما قدم لتلك الجملة بالاستفهام في قوله: (وكيف)، المقصود به التعجب من العودة إلى الخمر بعد إعطاء الله المواثيق على ألا يعود إليه، كما يحمل بجانب

---

(١) من ديوان الشعر العربي : ٦٩، ٧٠.

(٢) من ديوان الشعر العربي : ٦٨،٦٩.

هذا التعجب استبعاد العودة، وكان يمكن أن يقول: (كيف وقد أعطيت...) من غير واو تسبق أداة الاستفهام، ولكنه جاء بالواو لتعطف على محذوف يذهب السامع في تقديره كل مذهب" وذهاب النفس في تقديره هو قيمة ذلك الأسلوب، ولو كان غرض الكلام معقودًا على جملة معينة تعطف عليها الجملة الداخلة عليها الواو لجيء بها، وإنما الغرض أن تظل الجملة المعطوفة معلقة وسابحة في فضاء تبحث عن أختها التي تقترن بها، وأن يظل المتدبرون للكلام في شغل يملؤون به هذه الفراغات التي يوقظهم ويثيرهم وجودها"[1] .

وفي البيت حال أخرى، وهي ـ أيضا ـ جملة فعلية مقترنة بالواو، وذلك قوله: (والله ذو العرش شاهدي) وهي تمثل ترقّيًا في ذكر موانع العودة إلى الخمر بعد التوبة عنها، وهو هنا مراقبة الله له، وقيوميته عليه، ومجيء تلك الحال مقرونة بالواو يعين أن ثمة أمورا فيها جعلته تمتاز عن الكلام السابق ولا تنضام إليه، وفيها من زيادة المعني ما استدعى المتكلم أن يلفت إليه، الأذهان قبل الآذان، وان يوفر عناية المخاطب على هذا الأمر الزائد، بعيدًا عما سبقه من كلام.

فقيومية الله لعبده، واطلاعه عليه في كل أحواله مما يجب أن يؤخذ في حسبان كل أحد، وهذا وحده كاف في ردع المرء عن المعصية، أما وقد أعطى العبد مواثقه لربه ألا يعود لذنب قد ألفه، فهذا أدعى إلى الثبات على التوبة.

والتنكير في مواثق، ومجيئها جمعًا امارة على عظم موقع تلك المواقف في نفس المتكلم، وأنها مما يجب أن يعتد به، وألا يغفله العبد أو يفرط في شأنه.

***

(١) آل حم (غافر ـ فصلت) دراسة في أسرار البيان. د/ محمد محمد أبو موسى (مكتبة وهبة ـ القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ ـ٢٠٠٩م) ٨١.

ومما جاءت فيه جملة الحال مقترنة بالواو في ديوان أبي محجن (ﷺ) وتعكس ما كان عليه قبل توب من الخمر، من شدة التعلق بها، وعدم الصبر على مفارقتها، قوله:

أَلَمْ تَرَ أنّ الدّهْرَ يعْثُرُ بالفَتى ∴ ولَا يسْتَطِيع المَرْءُ صَرْفَ المقَادر
صَبَرتُ فلَمْ أَجْزَعْ ولَمْ أَكُ طَائِعًا ∴ لِحَادِثِ دَهْرٍ فِي الحُكُومَةِ جَائِرُ
وإنّي لَذُو صَبْرٍ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي ∴ ولَسْتُ عَنِ الصّهْبَاءِ يَوْمًا بصَابِرِ
رَمَاهَا أَمِيرُ المؤمنين بحتْفِهَا ∴ فخِلّانُها يَبْكُون حَوْلَ المَعَاصِرِ[1]

نقل صاحب (كتاب الأغاني) مناسبة تلك الأبيات فقال: " عن قال: أتي عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) بجماعة فيهم أبو محجن الثقفيّ وقد شربوا الخمر، فقال: أشربتم الخمر بعد أن حرّمها اللّه ورسوله، فقالوا: ما حرّمها اللّه ولا رسوله؛ إن اللّه تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ المائدة: ٩٣ ؛ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا فيهم فبعث إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) فشاوره؛ فقال عليّ: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا الميتة والدّم ولحم الخنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعليّ: ما ترى فيهم؟ قال: أرى إن كانوا شربوها مستحلّين لها أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يحدّوا، فسألهم؛ فقالوا: واللّه ما شككنا في أنها حرام، ولكنا قدّرنا أن لنا نجاة فيما قلناه، فجعل يحدّهم رجلًا رجلًا، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن، فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تر أنّ الدهر يعثر بالفتى ∴ ولا يستطيع المرء صرف المقادر

(١) من ديوان الشعر العربي: ٩٢.

فلما سمع عمر قوله: (ولست عن الصّهباء يوما بصابر) قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر؛ فقال له عليّ (عليه السّلام): ما ذلك لك، وما يجوز أن تعاقب رجلًا قال: لأفعلنّ وهو لم يفعل، وقد قال اللّه في سورة الشعراء: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢٦، فقال عمر: قد استثنى اللّه منهم قوما فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الشعراء: ٢٢٧، فقال عليّ (عليه السّلام): أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم): «لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[1].

فأبو محجن (ﷺ) يصف في تلك الأبيات شدة ولعه بالخمر، وتعلقه بها، وذلك قبل أن يتوب الله عليه، وقد عمد الشاعر في إظهار هذا التعلق الشديد بالخمر إلى عقد مقارنة بين صبره على مفارقة إخوانه، الذي تخطفهم الموت، وعدم قدرته على مفارقة الخمر وذلك في قوله:

وإنّي لَذُو صَبْرٍ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي ∴ ولَسْتُ عَنِ الصّهْبَاءِ يَوْمًا بصَابِرِ

فأثبت لنفسه صبرًا على وده من التوكيد يكشف فيه عن رباطة جأشه وقوة تحمله، فأكد كلامه بالجملة الاسمية أولا: ثم بحرف التوكيد (إن) مضافا إلى ياء التكلم؛ إمعانًا في إثبات حكم الجملة على وجه من التوكيد لا يسمح معه بإنكار منكر أو شك مرتاب، ثم أردفه باللام في قوله: (لذو) مضافة إلى (ذي) بمعنى صاحب، الدالة على شدة الملازمة والملاصقة لما أضيفت إليه، فلم يقل: (لصابر) مثلا، وإنما قال: (لذو صبر) ليدل على قوة الملاصقة بينه وبين ما اتصف به من الصبر، ثم أضاف (ذو) إلى المصدر (صبر) إمعانًا في الاتصاف بتلك الصفة، وكأنه بلغ الغاية منها، واستقاها من منبعها.

(١) الأغاني : ١٩/ ١٢.

ثم اختار من الأحوال التي يمكن للمرء أن يتصف فيها بالصبر والتحمل أشدَّها، وهي موت الأخوة، ومفارقة الخلان، فقال: (وقد مات إخوتي)، وأتى بتلك الحال مفصولة بالواو ليدل على تميزها في باب الشدائد، وباب ما يمكن أن يتحمله المرء ويصبر عليه؛ ليدل بذلك على رباطة جأشه، وشدة تحمله، ثم إنه مع هذا البأس الشديد، وصلابته في مواجهة حوادث الدهر إذا طلب منه الكف عن الخمر فلا صبر له، فقال: (ولست عن الصهباء يوما بصابر)، وتنكير يوم المقصود منه أدنى جزء من اليوم، فهو تنكير تقليل.

ولاحظ هنا تعبيره في جانب الصبر على الخمر بقوله (صابر) دون ذكر لأي وجه من أوجه التوكيد التي وردت في الصبر على مفارقة الإخوة، وهذا يعني أنه لا يحصل له أدنى صبر على مفارقتها، مما يعكس شدة التعلق بها.

وقد تجتمع الحال المفردة مع الحال الجملة فيزداد الكلام بتلك القيود جمالًا وجلالًا، ويكون لتلك القيود الأثر البالغ في تأكيد المعنى وتقريره في نفس السامع.

ومما اجتمعت فيه الحال المفردة بالحال الجملة، واقترنت فيه جملة الحال بالواو في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله:

عمّي الّذي أَهْدَى لِكسْرَى جِيَادَه ∴ لَدَى البَابِ منها مُرْسَلٌ ووقُوفُ
عَشِيّةَ لاقَى التُّرْجمَان وربّه ∴ فأدّاه فردًا والوُفُودُ عكُوفُ[1]

يفخر الاشعر في تلك الأبيات بما فعله عمه غيلان بن سلمة الثقفي، حين حمل على عاتقه أمر الدخول على كسرى، بعدما دخل هو وأبو سفيان، وجماعة من قريش وثقيف، إلى بلاد فارس، دون إذن من ملكها، فقال أبو سفيان: إنا في سيرنا هذا لعلى خطر؛ لأنا نقدم على ملك لم يأذن لنا في القدوم، وليست بلاد لنا بمتجر،

(١) من ديوان الشعر العربي: ٧٧، ٧٨.

فأيكم يذهب، فإن أصيب فنحن براء من دمه، وإن يغنم فله نصف الربح، فقال غيلان: أنا أمضي بها[1].

وموضع النظر هنا قوله: (فردًا والوفود عكوف)، فكلمة (فردًا) حال من الضمير العائد إلى عمه، والواقع موقع الفاعل للفعل (أدى)، ونلك الحال تكشف عن مكانة عم الشاعر، حين أمضى وحده، حاملًا هم الدخول على كسرى، فردًا لا يؤازره أحد، وتلك ثقة عالية وغالية بالنفس، واعتداد كبير بالذات، قلّ أن تجد لها نظيرًا، وزاد من قيمة تلك الحال، وعلو قدر صاحبها، أن شفعت بحال أخرى، يزداد بها المعنى توضيحًا وتقريرًا، ولكنها تلك المرة حال جملة، في قوله: (والوفود عكوف)، وهي في ذاتها مقابلة للحال الأولى، تصور هذا التقابل والمفارقة الشديدة بين الموقفين، حال من أقبل وحده منفردًا على ملك دخل مملكته دون إذن مسبق، فوافاه ودخل عليه وأدى له ما أهداه من طيب الجياد، وحال من أتوه وفودًا في جماعات عكفت أما باب ملكه، ولم يؤذن لها.

وعكوف مصدر عكف، أخبر به عن المبتدأ (الوفود) ليكون أكثر ملاصقة للمبتدأ، وبيانًا لثباتهم على عكوفهم، وكأنهم أقيموا على تلك الحال لا يبرحونها، والجملة حال، والجملة حال، وجاء بها مفصولة بالواو لتعكس التمايز الشديد بين الحالين، وتضع كلا منهما في نصابه الذي يستحقه، فشتان بين من يؤذن له بالدخول على ملك الفرس منفردًا، وبين من حبس لدى الباب على كثرة عددهم وعلو شأنهم، فلما تمايز الحالان وتباينا وامتنع إلحاق أحدهما بالآخر وأن يكون هذا من وادي ذاك، فصل بينهما بالواو.

(١) شرح الديوان: ٧٨، ٧٩.

ومما اجتمع فيه التقييد بالحال المفردة مع الحال الجملة، وجاءت فيه الحال الجملة غير مقترنة بالواو، في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله في اعتداده بذاته، وافتخاره بمناقبه ومروءته:

وأَهْجُرُ الفعْلَ ذَا حَوْبٍ ومنقَصَةٍ ∴ وأَتْرُكُ القولَ يُدْنِينِي مِنَ الرَّهَقِ[1]

يصف الشاعر طبعه الذي طبع عليه، من أنه ينأى بنفسه عما يغضب ربه، كما ينأى بنفسه عن كل ما يخل بمروءته فعلًا كان أو قولًا، وقدم الحوب ومعناه الإثم؛ لتعلقه بالله (سبحانه وتعالى) فقدم في الهجر ما يترتب عليه غضب الرب على ما يترتب علي ملامة الناس من العيب والمنقصة.

وقد جاء قوله: (ذا حوب ومنقصة) حالًا من المفعول (الفعل)، وتلك حال مفردة مضافة تعكس فاعلية الشاعر، وإقدامهن وأنه ممن لا يركن إلى خمول أو دعة، وإنما يترك من الأفعال ما كان هذا شأنها من جلب الحوب والمنقصة إليه، مما يترتب عليه معاقبة الرب (ﷻ) ومعاتبة الناس.

وفي الشطر الثاني من البيت جاء قوله: (يدنيني من الرهق) حال من المفعول (القول)، وجاءت جملة الحال غير مقترنة بالواو، مما يعني انضمامها لما قبلها، فهي تشكل معه وحدة واحدة، لا تنفك عنه، فهو لا يترك كل قول، وإنما يترك من القول ما كان هذا حاله، واختار(يدنيني) دون يقربني أو غيرها مما هو في منعاها؛ لأنه لا يقصد أن ينفي عن نفسه مقالة السوء التي تدنيه من السفه والجهالة، وإنما يمعن في نفي ذلك عنه عن طريق نفي قربه منه، ونفي القرب من الشيء نفي للملابسة به من باب أولى، فهو نظير قوله ـ تعالى ـ : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾البقرة: ١٨٧، وهذا

(١) من ديوان الشعر العربي : ٥٣. الحوب : الإثم، وهو بالفتح لأهل الحجاز، وبالضم لتميم. والمنقصة: العيب. والرهق: جهل في الإنسان وخفة في عقله. لسان العرب. مواد (حوب ونقص، ورهق).

غير قوله ـ تعالى ـ : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ البقرة: ٢٢٩، فالأول نهي عن الاقتراب، والثاني تحذير من المجاوزة.

أما التعبير بالمضارع في قوله: (أهجر ، وأترك) فيعكس استمرارية الشاعر على مطبعه من هجر ما فيه إثم ومنقصة، وتركه ما يدنيه من الجهالة والسفه، وتأكيد على ذاتية تلك الخصال فيه، وأنها لا تنفك عنه، ولا ينفك عنها، في كل زمان وعلى أية حال.

أما المضارع في (يدنيني من الرهق) فهو تصوير لبشاعة ذلك القول، وتشنيع على قائله؛ تبغيضًا له في نفس كل مخاطب سلم طبعه، واستقامت نفسه.

ومما تعددت فيه الأحوال، وتنوعت بين مفرد ومفرد مضاف وجملة في ديوان أبي محجن (ﷺ) قوله:

وعِنـدِي عَلَـى شُـرْبِ العُقَـارِ حَفِيظَـةٌ ∴ إِذَا مَـا نِسَـاءُ الْحَـيّ ضَـاقَتْ حُلُوقُهَـا[1]

وأُعْجِلْـنَ عَـن شَـدِّ المـآزِرِ وُلّهَـا ∴ مُفجّعَـةَ الأَصْـوَاتِ قَـدْ جـفَّ رِيقُهَـا[2]

يصف أبو محجن (ﷺ) في تلك الأبيات شدة صبابته للخمر، التي كانت داؤه الداء، فيحكي أنه كان شديد المحافظة على شربها، لا يشغله عنها شاغل، مهما اشتد خطبه، وعلا شأنه، فهو محافظ عليها في أحلك الأوقات، ولا وقت أشد على المرء من وقت مجابهة الأعداء وغارتهم عليه، وعندما يتعالى صراخ النساء وعويلهن، حتى يجف ريقهن من شدة الصراخ، ففي تلك الحالة لا ينفك الشاعر عن معاقرة الخمر،

(١) العُقار: بضم العين الخمر، سميت بذلك؛ لأنها عاقرت العقل أي لزمته، يقال: عاقره إذا لازمه، وأدام عليه. لسان العرب. مادة (عقر).

(٢) من ديوان الشعر العربي: ٨٥. الوله: الحزن، وذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف. الحفيظة: الغضب، والمقصود بها هنا المحافظة على شرب الخمر. والفجيعة: الرزية الموجعة. لسان العرب. مواد (وله، وحفظ ، وفجع)، وشرح الديوان: ٨٥

وليس بعد هذا الوصف دلالة على شدة التعلق بها، حتى تاب الله عليه، فتركها مذمومة لا يذوقها.

والشاهد هنا في قوله: (ولّهًا مفجعة الأصوات قد جفّ ريقها) وتلك ثلاثة أحوال تتابعت وتنوعت، فالأولى حال مفردة في قوله: (ولّهًا) تصور الحالة الشعورية لدى هؤلاء النسوة عند غارة الأعداء عليهم، من الفزع الشديد والخوف من مصير الأسر والقتل والتنكيل، فأخذن يصرخن ويملأن الدنيا عويلا حتى ضاقت حلوقها من كثرة الصراخ وشدته، وخرجن على عجلن مذهولات عن شد مآزرهن من هول الموقف.

وقوله: (مفجعة الأصوات) حال ثانية، وجاء مفردة مضافة، مكملة للحال الأولى، ومضامة لها، ترسم صورة ذلك الفزع الشديد، وتضيف إلى الحالة الشعورية الأولى التي لا يشعر بها إلا هؤلاء النسوة، تضيف إليهن حالة أخرى، ولكنها تلك المرة يمكن رصدها عن طريق حاسة السمع حين نسمع أصواتهن المفجعة، والأصوات الفجعة هي تلك الأصوات التي يدفعها هول الفجيعة، وشدة الرزء.

وقوله: (قد جف ريقها) حال ثالثة، ترصد أمر هؤلاء النسوة، وتمثل ترقيًا في تتابع الأحوال وتصاعدًا منطقيًا في المشاعر والأحاسيس، وردة أفعالهن عند نزول الغارة عليهن، ولكن تلك الحال جاءت في هذه المرة جملة فعلية، مؤكدة بحرف التحقيق (قد)، وهي هنا ـ كما ذكر ـ تمثل آخر مشهد يمكن رصده لهؤلاء النسوة، في معمعة تلك الغارة، بعد الوله الشديد، والصراخ والعويل، فتأتي النهاية الطبيعية لتلك القصة المأساوية، بجفاف ريق هؤلاء النسوة، كناية عن بلوغهن غاية الجهد، أو الوقوف على مشارف الموت، والبيت كله كناية عن شدة الموقف وهوله، مما كان يستدعي صرف الهمم إليه، غير أن الشاعر لم يشغله ذلك كله عن معاقرة خمره، دليلًا على شدة التعلق بها والمداومة على شربها، وذلك قبل توبته منها.

والملاحظ هنا بناء (أعجلن) على مالم يسم فاعله، وذلك لقصد بيان شدة الموقف، وأنهن قد حدث لهن تعجل وفزع، أحاط بهم من كل زاوية، حتى أنهن شغلن به عن بيان فاعله ومن قام بتعجلهن.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير من عاش ومات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..

فبعد تلك التطوافة مع باب من أهم أبواب الدرس البلاغي، وهو باب القيود والمتعلقات، في ديوان تميز شعر صاحبه بالطبع والبعد عن التكلف، وقد عرض في حياته إلى تباينات مختلفة كان لها بالغ الأثر في حياته بصفة عامة وشعره بصفة خاصة، يمكن لنا أن نجمل أهم خصائص تلك الدراسة فيما يلي:

أولًا: يعد القيد والمتعلق في الدرس البلاغي ركنًا ركينًا من أركان الجملة، لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يُوْصَفُ بأنه فضله، طالما أنه جاء لغرض لا يؤدى ذلك الغرض بدونه.

ثانياً: جاء التقييد بالحال المفردة في ديوان أبي محجن (ﷺ) يعكس معاناة نفيه وكيف تغلب على تلك المعاناة بالفرار من ابن جهراء واللحاق بسعد ابن وقاص (ﷺ)، جماء جاءت تلك الحال، تبين . أيضًا ـ عزمه الأكيد وتوبته الصادقة عن شرب الخمر، وتغير حالها عند بعد تلك التوبة فقد صارت (مذمومة لا يذوقها) بعد أن كان مداومًا على شربها لا ينفك عنها في الغداة أو العشي، وحتى في أحلك الأوقات كان محافظًا ومداومًا على شربها.

ثالثاً: للتقييد بالظرف ـ عمومًا ـ موقع خاص في أنفس المتكلمين، حين يبرزون من خلاله أهمية الزمان أو المكان الذي كان وعاءً للحدث، الذي أثار شجونهم وانفعالاتهم فيعمدون إلى تسجيل ذلك الحدث مقترنًا بزمانه أو مكانه، وله في ديوان الشاعر هنا موقع خاص ـ أيضا ـ حين يعمد الشاعر إلى إبراز الزمان أو المكان الذين كانا محلًا للحدث، كتقييده شربه للخمر بكونه عند الشروق وبعد العشي، دليلًا على شدة تعلقه بها، قبل توبته منها.

كما عمد الشاعر إلى التقييد بظرف الزمان إظهارًا لشجاعته وقوة بأسه، في ملاقاة العدو، وذلك في قوله:

أُعطِي السّنان غداةَ الرَّوعِ نِحلَتَه ∴ وعامِلُ الرّمحِ أرْوِيه من العلق

وكأن قتاله لهم صار ضربًا من سنن الله في إهلاك المعاندين.

رابعًا: أما ظرف المكان فقد جاء في ديوان أبي محجن (ﷺ) يعكس ـ أيضًا ـ شجاعته وإقدامه واستماتته في قتال أعدائه، وبيان كيف أنه إذا كان في معمعان المعركة ألقى بنفسه في أنفها. وذلك في قوله:

ومَا رِمْتُ حتى خرّقوا برمَاحِهِم ∴ ثيابي وجادَت بالدماء الأَبَاجِلُ

وحتّى رأيْتُ مُهْرَتي مزوئِرَّةٌ ∴ لدى الفيلِ يدمي نحرُها والشَّوَاكِلُ

كما رينا كيف استغل الشاعر ظرف المكان في تصوير مدى توجعه وتفجعه على إخوانه الذين لقوا حتفهم حوله في قوله:

مَرَرْتُ عَلَى الأَنصَارِ وَسْطَ رِحَالِهِم ∴ فقلتُ لَهم هلْ مِنكمُ اليومَ قافلُ؟

وكذلك قد اجتمع الظرف الزماني والمكاني في إطار واحد، يعكس الشاعر من خلالهما إيمانه المطلق بحقائق الأشياء، وأن بقاء الحال من المحال، وبيان أن ما يجب أن يلتفت إليه في الاحتكام على الناس هو ما طبعوا عليه من كرم الأصل وعراقة النسب، دون ما يعرض لهم من غنى أو فقر، وذلك في قوله:

قَدْ يقْتُر المَرْءُ يَوْمًا وهوَ ذُو حَسَبٍ ∴ وَقَدْ يَثُوبُ سَوَامَ العَاجِزِ الحُمُقِ

قد يكْثُرُ المالُ يومًا بعدَ قلّتِه ∴ ويُكْتَسَى العُودُ بعدَ الجدْبِ بالوَرَق

وقد أَجُودُ وما مالِي بذِي فَنَعٍ ∴ وقد أَكُرُّ وَرَاءَ المُحْجَرِ البَرِقِ

خامسًا: أما التقييد بالمفعول فقد اتجهت عناية البلاغيين إلى البحث في أسرار المفعول به حين يحذف من الكلام، وأرادوا من ذلك التنبيه إلى إثبات المعنى

في نفسه للفاعل أو نفيه عنه من غير ذلك نظر إلى مفعول معين، وغير ذلك من الأمور التي ذكروها في الجملة، ولم يقفوا كثيرًا للبحث في أسراره حين يذكر، وقالوا إن ذكر المفعول يكون جريًا على ما يقتضيه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، ولكن الخطيب (رحمه الله) فتح بابًا من أبواب الفهم، يدفع الباحثين من متذوقي أسرار الكلام إلى النظر في أسرار المفعول خين يذكر.

أما عن التقييد بالمفعول في ديوان أبي محجن (ﷺ)، فقد رمى الشاعر من وراء هذا القيد إلى إثبات شجاعته، وقوة بأسه، وتنكيله بأعدائه، فجعل الطعن دينًا عليه يوفيه لسناه ورمحه، يشبعهما بدماء أعداء التي ألفوا الارتواء منها وذلك في قوله:

أُعْطِي السّنانَ غداةَ الرّوع نِحْلَتَه ∴ وعامل الرمح أَرْوِه منَ العَلَقِ
وأطعنُ الطعنةَ النّجْلَاءَ عن عُرُضٍ ∴ تنفي المَسَابِير بالإزبَادِ والفَهَقِ

كما جاء التقييد بالمفعول ليؤكد على قوة قوم الشاعر وشدة بأسهم، وأنهم في منعة وعزة، يهاب جانبهم، وتحفظ حرماتهم، وذلك في قوله:

هابَتِ الأعْدَاءُ جانِبَنا ∴ ثمَّ تغْزُونا بنُو سَلَمَه

وجاء بالمفعول قيدًا ـ أيضًا ـ في مقام التأكيد علة أن مناط الفخر والاعتداد على الأخلاق والدين، وليس على ما اعتاد عليه كثير من الناس، من قصر أسباب الفخر والسيادة على كثرة المال. وذلك قوله:

لا تسْأَلي النّاسَ عنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ ∴ وَسَائِلِي القومَ عنْ ديني وعن خُلُقِي

كما جاء التقييد بالمفعول ـ أيضًا ـ في ديوان الشاعر يعكس مدى تعلقه بالخمر وتلذذه بها وبجريان ذكرها على لسانه، وذلك قبل توبته منها، وهذا في قوله:

أَلَا سَقِّني يا صاحِ خمرًا فَإنَّنِي ∴ بَما أنزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ

وَجُدْ لِي بِهَا صِرفًا لأَزْدَادَ مَأْثَمًا ∴ فَفِي شُرْبِهَا صِرْفًا تَتِمُّ المَآثِم
هِي النّارُ إلّا أنّني نِلْتُ لَذَّةً ∴ على شُرْبِها وقضّيْتُ أوطَاري وإن لامَ لائِمُ

وكما جاء التقييد بالمفعول في ديوان الشاعر يعكس شدة تعلقه بالخمر، فقد جاء ـ أيضا ـ يصور بعده عنها وتوبته منها، وذلك في قوله:

أَتُوبُ إِلَى الله الرَّحِيمِ فَإِنّهُ ∴ غَفُورٌ لِذَنبِ المَرْءِ مَالَمْ يُعَاوِد
وَلَسْتُ إِلَى الصّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا ∴ وَلَا تَابِعًا قَوَلَ السفيه المعاند
وَكَيْفَ وقَد أَعْطَيتُ ربّي مواثقًا ∴ أعودُ لَهَا واللهُ ذُو العَرْشِ شَاهِدي
سَأَتْرُكُها مَذْمُومَةً لَّا أَذُوقُهَا ∴ وَإِنْ رَغِمَت فِيهَا أُنُوفُ حَوَاسِدِي

سادساً: أما عن التقييد بالجملة الشرطية، فقد تعددت أدوات التقييد به في ديوان الشاعر وتنوعت بين (إذا وإن، ولما) ولكني اقتصرت الحديث فيه على ما كانت أداته (إذا، وإن) نظرًا لكثرة مباحثهما ودقة أسرارهما، ولما قدمه صاحب دراسة (من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (رضي الله عنه).) من جمع لما قيدت به جملة الشرط التي أداتها (لما) والذي لم يتجاوز أربعة مواضع، ومن ثم قصرت الحديث على جملة الشرط التي أداتها (إذا، وإن).

أما عن التقييد بالشرط الذي أداته (إذا) فقد جاء في مقامات ذم الخمر، والتشنيع على من يدعوا لشربها، وإبطال حججه، كما جاءت تعكس إيمان الشاعر الراسخ بما عليه حقائق الأشياء، من أن دوام الحال من المحال، وأن لله (ﷻ) في خلقه شئونًا يصرفها كيفما شاء، وأن من تمام الإيمان ألا ييأس المرء لضر أصابه أو عسر نزل به، بل يسلم مقادته لله، فإن مما قضى به الله (ﷻ) أن العسر يتبعه يسر، وذلك في قوله:

عَسَى فَرجٌ يأتِي بِهِ اللهُ إنّه ∴ لَهُ كُلَّ يومٍ في خليقَتِه أمرٌ
عسَى مَا تَرَى ألا يَدُوم وأن ترى ∴ له فرجًا ممَّا ألحّ به الدّهْرُ

إِذَا اشْـتَدّ خَطْـبٌ فَـارْجُ يُسْـرًا إِنّـه ∴ قَضَـى اللهُ أَنّ العُسْـرَ يتْبعُـهُ اليُسْـرُ

كما جاء التقييد بجملة الشرطة مقرونة بتلك الأداة في مقام حيث الشاعر عن أسره لدى سعد بن أبي وقاص (ﷺ)، وكيف كان مُكَبَّلًا في أغلاله، يرسم من خلال تلك الأداة رغبته (ﷺ) في الخلاص من قيوده، والقيام إلى إخوانه لنجدتهم في ساحة الحرب، وذلك في قوله:

كَفَى حُزْنًا أن تُطْعَنَ الخَيْلُ بِالقَنَا ∴ وأُصْـبِحُ مَشْـدُودًا علـيَّ وثَاقِيَـا

إِذَا قُمْـتُ عنَّـانِي الحديـدُ وأُغْلِقَـت ∴ مَصَـارِعُ دُونِـي قـد تصُـمّ المُنَادِيـا

كما استطاع الشاعر من خلال التقييد بالجملة الشرطية التي أداتها (إذا) أن يرسم شجاعته البالغة، وقوة بأسه، وذلك في قوله:

أَبْلِـغْ لَـدَيْكَ أَبَـا حَفْـصٍ مُغَلْغَلَـةً ∴ عَبَـدَ الإِلَـه إِذَا مضـا غَـارَ أو جَلَسـا

أنّـي أكُـرُّ علـى الأُولَـى إذا فزِعُـوا ∴ يومًـا وأَحْـبِسُ تحـتَ الرّايـةِ الفَرَسَـا

أَغْشَى الصّبَاح وتغشاني مضاعفةٌ ∴ مـن الحديـد إذا مـا بعْضُـهُم خَنَسَـا

سابعًا: ورد التقييد بالجملة الشرطية التي أداتها (إن) في أغلب مواقعه، على خلاف ما هي موضوعة له من عدم القطع بوقوع الشرط، إلى ما كان الشرط فيه مقطوعًا بوقعه؛ وذلك لأسرار بلاغية اقتضاها المقام، وكشف عنها السياق. كما ورد في قوله الخمر:

سَـأَتْرُكُهَا مَذْمُومَـةً لَا أَذُوقُهَـا ∴ وإن رغمـت فيهـا أنـوفُ حَوَاسِـدِي

وقوله: إن كَانتِ الخَمْرُ قد عزّت وقد مُنِعَت ∴ وحَـالَ مِـن دُونِهَـا الإسـلامُ والحَـرَجُ

فقـد أُبَاكِرُهَـا رِيًّـا وأشـرَبُها ∴ صِـرْفًا وأُطْـرَبُ أحْيَانًـا فـأمْتَزِجُ

فرغم أنف حواسده حين يترك الخمر أمر محقق، وكذلك عزة الخمر ومنعتها بعد تحريم الإسلام لها أمر محقق ـ أيضًا ـ عدل الشاعر فيه عن التعبير بما

يناسبه، إلى التقييد بأن؛ رغبة منه في عدم القطع بوقوع تلك الأشياء؛ تشنيعًا على حساده في المقام الأول، وتعبيرًا عن شدة تعلقه بخمره في المقام الثاني.

وفي حديثه عن لقاء الأعداء، ومحاربتهم والتشفي منهم، قيد فيه الموت . وهو أمر حتمي لا مفر منه . بإن؛ تعبيرًا منه عن شدة تطلعه للبقاء؛ لمقاتلة هؤلاء الأعداء والتشفي منهم وذلك في قوله:

فإن متّ كانت حاجةً قَدْ قضَيْتُهَا ∴ وخَلَّفْتُ سَعْدًا وَحْدَهُ والأَمَانِيَا

ثامنًا: أما عن التقييد بالجملة الحالية، فقد توجه الحديث فيه عن الجملة الحالية المقترنة بالواو، وغير المقترنة بها، وبيان ما اجتمعت فيه الأحوال، وتنوعت بين مفردة ومفردة مضافة وجملة، والكشف عن أسرار ذلك.

أما جملة الحال المقترنة بالواو، فقد جاءت لتعكس التمايز الشديد بين جملة الحال وبين ما سبقها، وبيان أنها قد اكتسب من جلال المعنى ما يجعله مستقلة بذاتها. وذلك كما ورد في سياق الحديث عن شجاعته ومروءته وعراقة أصله وكرم أرومته، وتنبيه السامع إلى أن المال لا يكسب المرء شرفًا ليس من طبعه، وأن قانون الاحتكام في مقاييس الشرف والسيادة . في نظر الشاعر . يجب أن يرجع إلى الخلق والدين:

قد يقْتُر المرءُ يومًا وهوَ ذو حسبٍ ∴ وقد يثوب سوام العاجز الحُمُقِ

قد يكْثُرُ المالُ يومًا بعدَ قلّتِه ∴ ويُكْتَسَى العُودُ بعدَ الجدْبِ بالوَرَق

وقد أَجُودُ وما مالِي بذِي فَنَعٍ ∴ وقد أَكُرُّ وَرَاءَ المُحْجَرِ البَرِقِ

وقوله حينما نفاه امير المؤمنين عمر (ﷺ) إلى جزيرة (حضوضي)، وبعث معه ابن جهراء حارسًا عليه، ففر منه على شط البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص (ﷺ):

الحَمْدُ لله نجَّاني وخلَّصني ∴ مِن ابن جَهْرَاءَ والبُوصيّ قَدْ حُبِسَا

ومما جاءت فيه جملة الحال مقرونة بالواو لتعكس ما كان عليه الشاعر قبل توبته من شدة تعلقه بالخمر، وعدم صبره على مفارقتها، قوله:

وإنّي لَذُو صَبْرٍ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي ∴ ولَسْتُ عَنِ الصّهْبَاءِ يَوْمًا بصَابِرِ

أما اجتماع الحال المفردة مع الحال الجملة المقرونة بالواو، فقد جاء في سياق ذكر المفاضلة، وبيان التفاوت بين مقام عمه ومقام غيره ممن وقف على باب كسرى، وذلك في قوله:

عمّي الّذي أَهْدَى لِكسْرَى جِيَادَه ∴ لَدَى البَابِ منها مُرْسَلٌ ووقُوفُ

عَشِيّةَ لاقَى التُّرْجمَان وربّه ∴ فأدّاه فردًا والوُفُودُ عكُوفُ

كما جاء في مقام حديثه عن مروءته وكرم أصله، يعكس نيأه الشديد عن كل ما يقدح في مروءته، أو يقلل من شأنه، وذلك في قوله:

وأَهْجُرُ الفعْلَ ذَا حَوْبٍ ومنقَصَةٍ ∴ وأَتْرُكُ القولَ يُدْنِينِي مِنَ الرَّهَقِ.

كما وردت الأحوال متعددة ومتنوعة في ديوان الشاعر ترسم شدة تعلقه بالخمر، وعدم صربه عليها، وانشغاله عنها، مهما اشتدت الخطوب ونزلت الحوادث، وذلك كما في قوله:

وعِندِي عَلَى شُرْبِ العُقَارِ حَفِيظَةٌ ∴ إِذَا مَا نِسَاءُ الْحَيّ ضَاقَتْ حُلُوقُهَا

وأُعْجِلْنَ عَن شدِّ المآزِرِ وُلّهَا ∴ مُفجّعَةَ الأَصْوَاتِ قَدْ جفَّ رِيقُهَا.

وبعد، فما كان من توفيق فمن الله وحده، والله أسأل أن يتجاوز عني ما وقع فيه من زلل، فهو من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.

١) أبو محجن الثقفي حياته وشعره . دراسة وتحقيق. د/ محمود فاخوري. بحث منشور في كلية الآداب . جامعة حلب (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . الطبعة الثانية : ١٩٨٨م).

٢) أبو محجن الثقفي حياته وشعره. د/ محمد مختار جمعة. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربين للبنين . جامعة الأزهر- القاهرة . العدد الخامس عشر . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي. المتوفى (٤٦٣هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجيل - بيروت . الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م).

٤) أسرار الفصل والوصل. د/ صباح عبيد دراز. (مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)..

٥) أسلوب الشرط في البيان النبوي مواقعه وأسراره . دراسة تطبيقية في الصحيحين . رضا السعيد فايد. (رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود . جامعة الأزهر. ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٦) الإصابة في تمييز الصحابة : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. المتوفى (٨٥٢هـ). تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. (دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ).

٧) الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) .(دار العلم للملايين ـــ الطبعة الخامسة عشر . ٢٠٠٢م).

٨) الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى (٣٥٦هـ) (إحياء التراث العربي ـ بيروت. الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ).
٩) آل حم (غافر ـ فصلت) دراسة في أسرار البيان. د/ محمد محمد أبو موسى (مكتبة وهبة ـ القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).
١٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
١١) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. المتوفى سنة (٧٣٩هـ). تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م).
١٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : للشيخ عبد المتعال الصعيدي (مكتبة الآداب ـ القاهرة. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
١٣) البلاغة النبوية في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان . محمد عبد الكريم محمد عاشور. (رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ الزقازيق).
١٤) تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ). تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (مطبعة حكومة الكويت ـ ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
١٥) تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان. ترجمة: د/ عبد الحليم النجار. (دار المعارف. دون تاريخ).

١٦) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي . المتوفى سنة (٧٤٨هـ). تحقيق: بشار عوّاد معروف . (دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م).

١٧) التصوير البياني. دراسة تحليلية لمسائل البيان . د/ محمد أبو موسى. (مكتبة وهبة ـ القاهرة. الطبعة السادسة : ٢٠٠٦م).

١٨) التطبيق النحوي . د/ عبد الراجحي . (دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية ١٩٩٥م).

١٩) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب. (دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان. الطبعة الأولى : ٢٠٠١م).

٢٠) الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ). تحقيق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل. (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٢١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م).

٢٢) خصائص التراكيب. د/ محمد محمد أبو موسى. (مكتبة وهبة ـ القاهرة . الطبعة السابعة . ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

٢٣) دلالات التراكيب . دراسة بلاغية . د/ محمد محمد أبو موسى . (مطبعة وهبة ـ القاهرة . الطبعة الرابعة. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٢٤) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . المتوفى (٤٧١هـ) . تحقيق: (أبو فهر) محمود محمد شاكر (مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ـ الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).
٢٥) شاعر الفارسية الفارس التائب أبو محجن الثقفي. (مطبعة التركي ـ طنطا ـ مصر : الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .
٢٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) . تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (دار ابن كثير، دمشق – بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).
٢٧) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ). (الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا).
٢٨) شروح التلخيص .(دار البصائر .ط : الأولى : ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م).
٢٩) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: يحي الجبوري (مكتبة النهضة ـ بغداد. دون تاريخ).
٣٠) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: قي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي (المتوفى: ٨٣٢ هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الأولى : ١٩٩٨م).
٣١) علل النحو: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ). تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. (مكتبة الرشد – الرياض / السعودية. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م).

٣٢) علم المعاني. دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. د/ بسيوني عبد الفتاح فيود. (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة. الطبعة الثالثة. ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
٣٣) فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ). (دار ومكتبة الهلال– بيروت ـ ١٩٨٨م).
٣٤) القيود والمتعلقات في الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم . د/ أحمد محمد سعيد (رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة . ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) .
٣٥) الكليات: لأبي البقاء الحنفي. تحقيق / عدنان درويش ، ومحمد المصري . (مؤسسة الرسالة ـ بيروت).
٣٦) لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): (دار صادر ـ بيروت ـ دون تاريخ).
٣٧) متن شذور الذهب : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ). (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ دون تاريخ).
٣٨) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها . محمد الأنطاكي. (دار الشرق العربي ـ بيروت).
٣٩) معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) . (دار صادر ـ بيروت . الطبعة الثانية : ١٩٩٥م).
٤٠) مفتاح العلوم : لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي. المتوفى سنة (٦٢٦هـ) . تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

٤١) المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) . تحقيق: د. علي بو ملحم (مكتبة الهلال – بيروت. الطبعة الأولى: ١٩٩٣م).

٤٢) من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي (رضي الله عنه). د/ طلعت عبد الله أبو حلوة. حولية كليات الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق ـ جامعة الأزهر. العدد الثامن والعشرون. المجلد الرابع. ٢٠١٢م.

٤٣) من ديوان الشعر العربي (١ـ ديوان أبي محجن الثقفي ٢ـ ديوان صفوان التجيبي ٣ . ديوان ابن مرج الكحل. (الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ٢٠٠٧م).

٤٤) موسيقى الشعر العربي: د/ إبراهيم أنيس . (مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية : ١٩٥٢م).

٤٥) النحو الوافي : عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ). (دار المعارف الطبعة: الخامسة عشر).